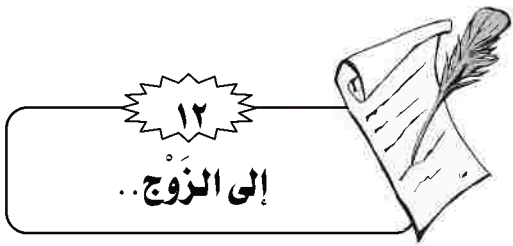

١٢
إلى الزَوْج..

إلى مَن جعله الله تعالى حُلم كل فتاة وأمنية كل بنت وخاطرا في قلب كل امرأة على وجه الأرض..

إلى مَن غرس الله حبه في نفس الأنثى وجعله فطرة تكبر معها يوما بعد يوم فلا يطيب لها عيش بدونه..

إلى كل زوج منّ الله تعالى عليه بنعمة الزواج، فحصّن فرجه وعفّ نفسه وصار به من المحصنين..

إلى مَن عاش الآية وعاين المعجزة وجنى الثمرة.. آية الزواج، ومعجزة المودة، وثمرة الرحمة..

هذه رسالتي إليكم..

أسوقها لكل زوج، ويعلم الله كم أجلّ وأحترم حقوق الزوجية إذ أنها وصية نبينا خير البرية. وإن الجوانب الإيجابية الطيبة لتوجد في كل زوج وإن اختلف كَمّها وحجمها، وهي تستحق كل تقدير وثناء، وهذا هو الأصل ولا يشذ عنه إلا القليل، لذا فإنني سأتناول في رسالتي بعض هذا القليل فليسامحني الأزواج فإنما الأعمال بالنيات، وإنني أتمثل ما جاء في كتاب الله تعالى ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾، وقد هالني زيادة نسبة الطلاق ولفت نظري عزوف كثير من الشباب والفتيات عن الزواج مما شارك في ارتفاع معدل العنوسة، بالإضافة إلى تفاقم المشكلات الزوجية وعدم استقرار الحياة الأسرية في كثير من بيوتنا، وهذا مؤشر خطير وجرس إنذار يدعونا للبحث عن بعض الأسباب إن لم يكن كلها، وهذا ما دعاني لكتابة هذه الرسالة التي سأتبعها إن شاء الله برسالة لكل زوجة لتتعادل كفة الميزان بالقسط، لذا فإنني في رسالتي هذه سأركز على

بعض الجوانب السلبية فقط من باب التنويه عليها والتعريف بها ولفت النظر لبعض صورها بكل صراحة ووضوح، إذ لا بد من تشخيص الداء حتى نعرف له الدواء، وهذا من أنجع طرق العلاج، وهذه ليست جوانب مفترضة وإنما هي واقعية سمعت معظمها من شكايا بعض الزوجات ورأيت وشاهدت ما يعانين ويكابدن وأكاد أحيانا أصعق ذهولا من هول ما أسمع! وللأسف هي نماذج حية من واقعنا المعاصر ولا زالت موجودة تتجرع أسرنا وأولادنا مرارة حصادها، وتدفع مجتمعاتنا ثمنها باهظا من عطائها وتقدمها ورفعتها واستقرارها، لأن الأسر إذا صلحت صلح المجتمع كله، ولا يعني ذلك أن كل الأزواج بهذه الصفات السلبية التي أذكرها، فكم من أزواج كانوا ولا يزالون يعطون لزوجاتهم عطاء لا حدود له من الحب والعطف، والرحمة والمودة، والأنس والعفة، والنفقة والدعم ابتغاء وجه الله، وكم من أزواج تسيء إليهم زوجاتهم وتظلمهم لكنهم يصبرون ولا يردون السيئة بمثلها بل يعفون ويصفحون طلبا لما عند الله، وهؤلاء يصدق فيهم قول النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله**» [رواه الترمذي وصححه السيوطي].

أتذكُر أيها الزوج؟

أتذكُر أيها الزوج يوم أن فكرتَ في الزواج وسعيتَ بحثا عن الزوجة المناسبة، أتذكُر حين وفقك الله تعالى وهداك إليها ورأيتها، كم كنت سعيدا بها، فسارعت لخطبتها.. وفي فترة الخطوبة تعرفتَ عليها أكثر داخل الإطار الشرعي، فلما تم العقد عرفتها عن قرب.. أتذكُر كم كنتَ لطيفا في كلامك معها، تتجمّل في حديثك وتتصنّع وتطلب رضاها وتريدها أن تتمنى عليك! لقد رأت فيك ساعتها دماثة الخلق فأحبتك فتم الزواج المبارك بعد أن رضيت بك زوجا وشريكا لها طول حياتها، فالحمد لله مؤلف القلوب وجامع المحبين ورازق الألفة وواهب المودة.

فهل لا زلت أنتَ أنتَ لم تتغير فيك صفاتك الطيبة تلك بعد أن مرّ على زواجك منها شهور أو سنون؟ وهل صَقلتْ الأيام العِشرة بينكما فرسّختها؟ هل لا زلتَ أنتَ أنتَ على خلقك وكلمك الطيب معها فلم يظهر لك وجه آخر؟ وهل لا زلتَ بفضل الله الزوج الصالح ذا الدين الذي يكرمها ولا يظلمها، يزداد حبكما مع مرور الأيام ويشتد، وتقوى

الصلة بين قلبيكما وتمتد، حتى انصهرتما معا في بوتقة واحدة وصرتما جسدا واحدا على سفينة الحياة تخوضان بحرها معا وسط الأمواج؟ إن كنت كذلك أيها الزوج الوفي فجزاك الله عن زوجتك خيرا.

إنه العهد والميثاق الغليظ..

أتعرف أيها الزوج أن زوجتك قد أخذتْ عليك من العهد أوثقه، ومن الميثاق أغلظه منذ أقدمتَ على الزواج منها وتحقق القبول والإيجاب منكما على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فصار فرضا عليك أن تحسن عشرتها، وقد ذكر الله ذلك في كتابه الكريم لعظم شأنه وأهميته فقال: «وأخذن منكم ميثاقا غليظا»، وهذا الميثاق يتطلب منك أن تكون معها رجلا راعيا لها أمينا محسنا عادلا، فتمسكها بالمعروف أو تسرحها بالمعروف، وإلا فقد نقضت عهدك ونبذت ميثاقك أمام الله العلي الكبير.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعرُوفِ﴾..

والعشرة بالمعروف هي مفتاح السعادة الزوجية وخلطتها السحرية التي لا بد منها لكل زوج وزوجة، لذا فقد أمر الله تعالى الزوج بحسن العشرة لزوجته ولو كان يكرهها، فقال: **﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعرُوفِ فَإِن كَرِهتمُوهُنَّ فعَسَى أَن تكرَهُوا شَيئًا وَيَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيرًا كثيرا﴾** [النساء: ١٩]. قال القرطبي في تفسيره: والعشرة: المخالطة والممازجة، فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش، وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقا في القول لا فظا ولا غليظا ولا مظهرا ميلا إلى غيرها. وقيل هو أن يتصنع لها كما تتصنع له، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي.

وقال الطبري: «وعاشروهن بالمعروف» يعني بما أمرتم به من المصاحبة، وذلك إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم إليهن، أو تسريح منكم لهن بإحسان. فالعشرة بالمعروف إجمالا تكون في القول والنفقة والمبيت.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ..

فهل يعي الأزواج هذه الآية؟ إذاً فلماذا يتغير بعضهم بعد الزواج فيرفعون عن وجوههم القناع الذي لبسوه بمجرد مرور وقت عليه طال أم قصر! بل إن بعضهم لم يزده طول عشرته لامرأته إلا نفورا منها وبعدا عنها وحجته أنها لم تعد جميلة ورشيقة كما يحب، وتراه هو نفسه لا يحافظ على قوام جسمه ورشاقته ثم يطلب منها ذلك وكأنه لم يتزوج سوى لوحة جميلة لا يريد أن يبهت طلاؤها مع مرور الوقت! أمَا علم أن المرأة أحرص الناس على جمالها وحسن قوامها ما وجدت لذلك سبيلا، لكنا نجد زوجا يهددها بالزواج عليها كلما تغير جسمها أو كبرت بطنها أو زاد وزنها رغم ما تمر به من أحوال شتى من حمل وولادة ورضاع يساهم كله أو بعضه في ذلك، لكنه يصر على أن يقارنها بغيرها وقد يصل الأمر أن يريدها كفلانة المطربة، أو فلانة الممثلة، أو كتلك الفتاة الراقصة التي يراها في [الفيديو كليب] تتمايل وتتراقص بدلال وفتنة مع كلمات وإيقاعات بعض الأغاني المبثوثة على الشاشة المرئية. وهذا للأسف منتشر في مجتمع بعض الأزواج الآن وهو مما ابتلينا به، وقد نسي هذا الزوج أنه وقع في المحظور بإطلاق بصره فيما لا يحل له النظر إليه، وأذية زوجته بالتطلع لغيرها ومقارنتها بها، كما أنه غفل عن حقيقة ما تقوم به تلك الزوجة المسكينة الكادحة، وما تحمل عنه من عبء البيت والأولاد والأسرة يقع كله أو معظمه على كاهلها لتخليه هو أو انشغاله عن مشاركتها، وأنها كأي إنسان ينالها التعب والإعياء ويلحق جسدها التغير. أما هو فلا يهمه إن تغير جسمه أو زاد وزنه، ولا يأبه لرائحة فمه التي ينبعث منها أثر الدخان أو بقايا الطعام، ولا يحافظ على حسن مظهره في بيته لأنه رجل كما يقول! فهو لا يتجمل إلا لأصحابه وعمله، ونسي أن الحقوق بين الزوجين متبادلة، وأن الزواج شراكة بينهما وأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أين الرعاية والتذمم؟

وثمة صنف آخر من الأزواج جعل من نفسه على زوجته رقيبا ومحاسبا وشريكا شحيحا، وفضلا عن شحه بالنفقة المالية الواجبة عليه، يصل به الشح منتهاه فتأبى نفسه

أن تجود على مسامع زوجته بكلمات الودّ التي لن تكلفه شيئا، ويتجمد لسانه أن يسيل بلعاب الحب ظنا منه أن هذا يسيء له كرجل أو أن كرامته لا تسمح له بذلك العبث كما يحلو له أن يسميه! ومنهم من يهملها ويهجرها لانشغاله الطويل ليلا ونهارا بحجة لقمة العيش ومشقة العمل، ومع ذلك تجده يمسك لسانه عن أبسط ما يجب عليه نحوها من كلمات الاعتذار الرقيقة لفوات حقها، أو عبارات الثناء عليها لصبرها، أو إظهار الشكر والامتنان لحبها.

ومنهم من يمسك عن معاشرتها في الفراش فلا يعفها، قد يكون كرها وزهدا فيها أو ضعفا منه، وكلا الأمرين مرفوض، وقد يصل به الحال أن ينام في غرفة منفصلة عنها حتى لا تجرح رجولته كما يظن! والواجب على مثل هذا الزوج أن يأخذ بأسباب القوة الجنسية من التداوي بالحلال ليحصنها ويعفها عن الحرام، لكن البعض يأبى ذلك ظنا أن هذا من نواقض الرجولة! بل قد يصل به الحال أن يخيّرها فإما أن ترضى به كما هو ولا تطالبه بعلاج، فتتجرع مرارة الصبر عليه وربما وسوس لها الشيطان فتطلعت لغيره، وإما أن تشرب كأس الطلاق السامة من يده رغما عنها وإن كان باختيارها.

ومنهم من يريد طلاق زوجته بحجة أنه لم يعد يحبها، وقد تغافل بذلك عن كثير من الجوانب الإيجابية في بقائه معها من حبها هي له ووجود الولد بينهما وضرورة رعاية الأسرة والحفاظ على استقرارها. وقديما همّ رجل بطلاق امرأته وقال لا أحبها فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أوَكُلّ البيوت بُنيتْ على الحب فأين الرعاية والتذمم؟

أيّ زوج أنت؟

وإنني أعجب من بعض الأزواج حين لا يقومون بواجب الزوجية عليهم تجاه الزوجات بداية بوقايتها من النار، إذ كيف يطيب لك عيش أيها الزوج وزوجتك غير ملتزمة بأمر الله وأنت مسئول عنها كما هي مسئولة، فهنيئا لكل زوج أخذ بيد زوجته وسار معها في طريق الجنة، امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦]. وقد قال عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية: يا رسول الله.. نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا؟ فقال: «تنهونهم عما نهاكم الله

وتأمرونهم بما أمر الله».

لكن بعض الأزواج في نُصح زوجته أحد رجلين، إما مفرط مضيع، وإما متشدد متنطع، وكلا الأمرين عند الله مذموم. والزوجة شأنها شأن أي إنسان تغفل وتسهو وتحتاج لوسائل الثبات التي ينبغي للزوج أن ييسرها لها ويشجعها عليها، فهل ينطبق ذلك على من يمنع زوجته من حضور مجالس العلم ودور القرآن الكريم لتتعلم، وحضورها إن كانت أهلا لأن تُعلِّم فيمنعهاغيرة منه! أفتغار عليها أيها الزوج أن تخرج لطلب العلم ولا تغار على محارم الله أن تُرتكب بسبب الجهل؟! أفلا يسُرّك أن تشارك في رفع الجهل ونشر العلم وهداية الناس فتكون شريكا لها في الأجر؟ فلماذا يصر بعض الأزواج على أن يتمسك بذلك المنع كحق من حقوقه رغم انشغاله معظم وقته وحاجة الزوجة لأسباب الثبات والفقه في دينها في زمن خرجت فيه المرأة إلى كل مكان، وكثرت فيه الفتن من حولها، أمَا علم أن من حقوقها عليه أن يعلمها ما تجهل من دينها وأن ييسر لها سبيل ذلك بما لا يتعارض مع مهمتها كزوجة وأمّ؟ والأعجب من هؤلاء من يقدّم لها البديل بطريقة خاطئة فيمارس هو معها دور الناصح والداعية دون أن يتبع المنهج النبوي في دعوته، فتراه زاجرا لها دوما معنفا فظا غليظا، فيدفعها دفعا إلى العناد وتأخذها العزة بالإثم ومن ثم فلا تمتثل لأمر الله فيبوء بإثمه وإثمها.

لا تكن مُطفِّفا في فهم القوامة..

نعم أيها الزوج، يا من تزوجتَ حديثا دون أن تعي مفهوم القوامة، ويا من تزوجتَ منذ زمن وفهمتها فهما خاطئا وأخذت معناها من مفاهيم مغلوطة وقدوات سيئة وعادات بالية بعيدة عن شرع الله.. تعلم فقه القوامة وتعرّف عليها وعلى حقيقتها فالعلم إنما يسبق العمل، وافهمها فهما صحيحا من كتاب الله تعالى القائل لك: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ وَبِمَا أَنفَقوا مِن أَموَالِهِم**﴾ [النساء: ٣٤].. لكن بعض الأزواج يظنون أنها مرادف للاستبداد بالرأي والتسلط والضرب والصياح والعناد وعدم الحوار، أو أنها درجة تخوّل للزوج الحرية المطلقة في التصرف دون مساءلة من زوجته وأهل بيته فهو حرّ يفعل ما يريد لأنه رجل! ووالله ما تلك برجولة، إنما الرجولة الحقيقية

عهد ووفاء، ورعاية ومسئولية، وحب وإخاء، ومودة ورحمة، وتعاون وعطاء، وإيثار وتضحية، ونفقة وسخاء، وأنها تحمل الزوج على احترام زوجته وأمّ أولاده، والصبر عليها إذا أساءت، وعدم ظلمها أو البغي عليها إذا كره، وهكذا يفعل كل راع عادل مع رعيته. فلا تكن مطففا في فهم القوامة فتنظر إليها من شق واحد ومن زاوية محدودة، بل خذها من نبيك الأعظم محمد ﷺ خير قدوة لكل زوج. لكننا للأسف نجد أن هناك من يبغي ويظلم ويقسو ويضرب ويسب ويشتم باسم القوامة، وهناك من يبخل ويمسك ويعلو ويستكبر باسم القوامة! ومنهم من يسلبها مالها وما تملك بل ويجعلها رغما عنها خادمة لمن يحب باسم القوامة أيضا، ذلك لأنه جهل معناها ولم يعمل بمقتضاها، لذا فلا عجب أن تجده قد جعل من نفسه حارسا على زوجته رقيبا على تحركاتها وسكناتها، فيتجسس على مكالمات الصديقات والأهل ويؤوّل منها ما يروق له تأويله، وتأكل الغيرة المفرطة قلبه فتدفعه إلى الشك الزائد ولا تفسح فيه مكانا لحسن الظن بها، فيجعلها حبيسة دارها بين جدران وهمه وقضبان خياله وحبال سوء ظنه وهي مع ذلك كله لا تسلم من أسئلته واستجوابه كل حين! أما هو فقد يسهر طيلة ليله يتسامر مع أصحابه، أو يقيم في بيته يتناجى مع شاشة الإنترنت ويداعب أزرار الكمبيوتر وينام في أحضان التلفاز، تاركا إياها وقد انتظرته طويلا حتى غلبها النوم، لكنه يأبى أن يتركها لنومها بعد عناء يوم طويل شاق فيوقظها وهي تترنح كالمخدرة بسكرة النوم طالبا منها حقه الشرعي كما يقول! -كما حكت إحدى الزوجات شاكية- ولو ترك لها المجال لقالت بملء فيها وأين حقي أنا عليك أيها الزوج؟ لقد نسي هو وأمثاله أن عليه أن يعطي كما يطلب وأن يؤدي ما عليه قبل أن يأخذ ما له، وأن القوامة الصحيحة هي التي تجعله ينظر إلى المرأة على أنها إنسان له مشاعر وأحاسيس يحب ويبغض ويفرح ويحزن، ويصح ويتعب، ويسعد ويتألم، وهي بشر ينقصه الكمال إذ يصيب ويخطيء، ويعتريه الضعف الذي يجبره الزوج بحسن خلقه وجميل عشرته، وقد نبه النبي ﷺ لذلك فقال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر**» [مسلم].

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا﴾..

وقد حذر الله تعالى الأزواج من عاقبة البغي على الزوجات وظلمهن فقال لهم: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء]. وفيه تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، وهو إشارة إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب، أي إن كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله؛ فيده بالقدرة فوق كل يد، فلا يستعلي أحد على امرأته فالله بالمرصاد فلذلك حَسن الاتصاف هنا بالعلو والكبر. فإن الله ذو علو على كل شيء، فلا تبغوا أيها الناس على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلا لعلو أيديكم على أيديهن، فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء، وأعلى منكم عليهن، وأكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم في يده وقبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلا وهن لكم مطيعات، فينتصر لهن منكم ربكم.

لحظة من فضلك..

أيها الزوج.. لقد اختارتك زوجتك وفضلتك على كل رجل وتوسمت فيك الخير فكن أهلا لذلك، واحرص على دوام الألفة والعشرة الطيبة بينكما وإن من أسبابها:

أن تظهر لها أنها هي المرأة الوحيدة في قلبك التي اخترتها زوجة لك ولا تريد غيرها.

لا تهددها بالزواج بأخرى وتجعل من ذلك تخويفا وعقابا لها كلما غضبت.

حاول أن تعفها وتصونها وتثني عليها بكلمات طيبات هن لك عند الله صدقات كثيرة.

لا تستنكف أن تُسِرّ إليها من حين لآخر أنك تحبها «والكلمة الطيبة صدقة».

[البخاري].

احترم أهلها وساعدها على برهم، ووازن بين حقها وحق أمك وأهلك عليك «فأعط كل ذي حق حقه».

لا تكن بخيلا في الإنفاق عليها، وحبذا لو جعلت لها مصروفا خاصا بها على قدر

استطاعتك، ولا تأخذ من مالها شيئا إلا عن طيب نفس منها.

إذا حدث خلاف بينكما فكن حكيما في إزالته بالحوار والمنطق والتفاهم والحب.

لا تفشِ سرها ولا تؤذها أو تضربها وقد قال النبي ﷺ: «**علامَ يضرب أحدكم امرأته ولعله أن يضاجعها من آخر النهار أو آخر الليل**» [أحمد].

لا تضارها حتى تفتدي نفسها منك، وإن حصل بينكما لا قدر الله الطلاق فصُن حق أخوّتها في الله فلا زالت بحمد الله أختا لك، وارض لها ما ترضاه لأختك وابنتك، وأحِب لها ما تحب لنفسك، ودع عنك شح النفوس ووساوس الشيطان والرغبة في الانتقام فما هكذا يفعل الرجال.

وإذا ما سولت لك نفسك الغبن أو التطفيف فاعلم أن الله عليّ كبير وتذكر قوله تعالى لك: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾.. أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق.

***

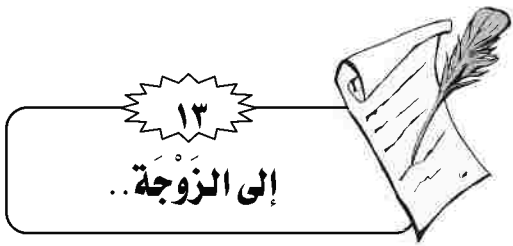

١٣
إلى الزَوْجَة..

إلى مَن كرمها الله تعالى بالزواج فجعلها به زوجة مكرّمة مصونة ولم يجعلها سلعة رخيصة أو لعبة تنكسر في أيدي العابثين..

إلى مَن خلقها الله تعالى في أحسن صورة وجعلها فتنة للناظرين فلا يهنأ للرجل عيشه بدونها..

إلى مَن جعلها الله تعالى زوجا وسكنا للرجل، وملاذا آمنا له وعاصما من الوقوع في الفتنة والفاحشة..

إلى مَن رفع الله قدرها وأعلى شأنها وحفظ حقوقها فصارت سيدة بيتها ومليكة زوجها وريحانته وعطره في الحياة..

أيتها الزوجة..

أنت خير الكنوز ما كنت صالحة.. ولِمَ لا وقد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: **«ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته»** [أخرجه أبو داود وصححه السيوطي].

وأنت أفضل متاع الدنيا.. كما أخبر النبي ﷺ حين قال: **«الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»** [مسلم]، **«إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»** [ابن ماجه].

وأنت من أسباب سعادة الرجل في دنياه.. كما جاء على لسان خير الأزواج ﷺ: **«إن من السعادة الزوجة الصالحة»** [الطبراني]، «فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك» [الحاكم].

وأنت أعظم منة وهبة له بعد تقوى الله.. بشهادة النبي ﷺ: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**» [ابن ماجة].

وأنت من حسنة الدنيا التي يطلبها كل مسلم في دعائه.. ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَة وَفِي الآخِرَةِ حَسَنة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١] قال ابن كثير في تفسيره: فإن كل الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل.

وأنت من أسباب قرة العين التي يطلبها عباد الرحمن.. ﴿**رَبَّنَا هَب لنَا مِن أَزوَاجنَا وَذرياتنَا قرة أَعيُن**﴾ [الفرقان: ٧٤] قال القرطبي: وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتد عينه إلى ما ترى؛ فذلك حين قرت العين، وسكون النفس.

الزواج نعمة عظيمة.. ومسئولية كبيرة..

نعم أيتها الزوجة.. إنه الزواج.. مأوى الأحباب ومقهى الصحاب.. صالة العشاق وبستان المحبين.. إنه الزواج الذي صانك الله تعالى به وجعل لك به عند زوجك عهدا وذمة وميثاقا غليظا، وأوْلاكِ وزادكِ من فضله فجعل لك حقوقا تُؤدَّى بعدل وتعطى في ظل شرع الله تعالى الذي شرعه ودعا إليه.

إنه الزواج الذي ينشأ معه الحب وتتولد به المودة وتزيد معه الرحمة وترتفع به الدرجة، قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما**» [رواه ميسرة بن علي ورمز له السيوطي بالصحة]. وبه بناء بيت وتأسيس أسرة وتكثير نسل وإنجاب ذرية، وإن البيت المسلم لهو اللبنة الأولى في بناء الأمة، أنت وزوجك حجر أساسه وعليكما يقوم بنيانه وبكما يظهر عنوانه، وهو روضة وجنة ذات أفنان في صحراء الحياة، وبستان نضر نتعلم

فيه الإحسان ويكتمل فيه البنيان بالذرية الصالحة.

وقد أوْلَى الإسلام بيتك هذا رعاية كبيرة منذ نشأته الأولى حين يولد وتولد معه حياة جديدة لزوجين كل أملهما العيش في سعادة وسلام لتحقيق الغاية العظيمة التي من أجلها خُلقا، ولم يَحْظَ بيت الزوجية بهذا الاهتمام في أي نظام أو قانون كما هو في الإسلام إذ اهتم ببنيانه أيّما اهتمام وجعل لكل مَن فيه حقاً وعليه واجبًا، فالكل مسئول وإن تفاوتت المسؤوليات، والشركة قائمة بين جميع أفراده، وعلى قدر تفانيهم وورعهم في أداء الحقوق تتحقق سعادتهم التي ينشدون في الدنيا والآخرة.

هلا كنت الزوجة الصالحة..

إن كل زوج يتمنى أن تكون زوجته صالحة ليسكن إليها وتهدأ نفسه وتستقر، والزوجات الصالحات بحمد الله موجودات فالدنيا لا زالت بخير، والخير هو الأصل، لكن ما بال بعض الزوجات قد شذت عنه فلم تعرف لزوجها حقه ولم تتكبد مشقة إصلاح نفسها وحماية بيتها وقد آل إلى السقوط، فلا ينال زوجها منها إلا ما تريده هي فقط، يناله عن استنكاف منها وتردد، فأين الإيثار والتضحية بل أين المودة والرحمة اللتان امتلأ بهما قلب المرأة، وأين الحب الذي طالما تمنته وتغنّتْ به، والأماني التي باتت تحلم بها وتردّدها، أتذكرين أيتها الزوجة كم كنت تشتاقين لنصفك الآخر هذا أن يأتي ويحلّ بساحتك خاطبا ويتقدم لأهلك طالبا القرب منك، أما كنتِ تشتاقين لدفء حبه في الحلال وحلاوة النظر إليه والتباهي به على الصديقات، وقد انتظرتِه وقتا طال أو قصر لتفرغي فيه من نهر حبك ووِدادك، وتسكبي في قلبه من معين مودتك، وتخرجي إليه ما في جعبتك من أماني وأحلام لتتحقق وأنتما معا في بيت الزوجية الطيب وعشها الهانيء، وها هي نعمة الله تعالى قد وضعها بين يديك وتحت عينيك فانظري ماذا أنت فاعلة..

ألا فانتبهي أيتها الزوجة..

انتبهي واعرفي لزوجك حقه عليك، فكما لك حقوق فعليك أيضا حقوق وواجبات سيسألك الله عنها، وما أعظم حق الزوج إذ هو ربان سفينة الأسرة وملاحها وقائدها ومُوجّه دفتها، إلا فكوني بجانبه ليقوم بدوره وتنجو السفينة وترسو على شاطيء الأمان،

وقد قال النبي ﷺ لامرأة: «**أذات زوج أنت؟ قالت نعم. قال كيف أنت له؟ قالت ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك**» [أحمد]. ومع ذلك فهناك من الزوجات للأسف من تتقمص شخصية الزوج ذاته فتكون هي الآمرة الناهية فكلمتها هي المطاعة شاء أم أبَى، وصوتها هو المسموع ولسان حالها يقول أنا القيّم لا أنتَ والقوامة لي وحدي! وهذا لا شك مخالف للفطرة التي فطر الله عليها كلا من الرجل والمرأة على السواء ويحتاج بدوره إلى وقفة لتعود الأمور إلى نصابها ويكون لكل منهما دوره وعمله.

ومنهن من تكون لزوجها بمثابة شرطي المرور أو ضابط الشرطة ليس لحفظ أمنه وسلامته وإنما لترصد حركاته جيئة وذهابا، أو تستعير وظيفة السجان فتريد أن تحبس زوجها بجانبها ليله ونهاره ظنا منها أن هذا وحده هو الحب! بل إن منهن من تكون له كالمحاسب فتحصي عليه نقوده وأعماله وأقواله ومكالماته ورسائله وكلامه ونظراته غيرة منها عليه.

ومنهن من حوّلت بيتها إلى ساحة قتال ومكان معركة حيث الصياح مع الصغار والشجار مع الزوج أو أهله بسبب وبغير سبب، أو تجعل منه ناديا أو مقهى أو سوقا حيث تجلس معها الصديقات فيه بالساعات على حساب الزوج والأولاد!

ومنهن من تتشبه بالسارق فتمتد يدها إلى ماله خلسة دون علمه ورضاه فتهبه بعض أهلها أو أقاربها أو تصرفه على نزواتها، ورغم أن لها فيه حقا إلا أنه يسلبها ثقة زوجها فيها ويهدد حياتها الزوجية بريح الشقاق والخلاف، ويوشك أن يذهب بماء الحب الذي تنتعش به حياتها.

ومن الزوجات من لا تنتهي أوامرها ولا تنفد طلباتها فهي لا تشبع من ملبس أو مأكل أو أثاث أو نزهة أو سفر، وتجعل ذلك جل همها وغاية رضاها ومنتهى أملها وقد يصل بها الحال أن تعيّر الزوج بفقره أو تقارنه بغيره ونسيت أنها ارتضته زوجا لها باختيارها ورضاها، وزوجها المسكين أعانه الله تعالى لا يدري ماذا يفعل ولا كيف يتصرف وهو يريد الحفاظ على بيته من الهدم وسفينته من الغرق، أما هي فقد تهجره الليالي

الطوال وتتمنّع عليه لعلمها حاجته إليها وغفلت عن تحذير النبي ﷺ لها ولمثيلاتها حين قال: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» [مسلم]، وقال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح**» [البخاري].

وثمة صنف آخر من النساء قد اتخذن من اللعن ديدنا ومن الشكوى والأنين شعارا ومن جحود نعمة الزوج وإنكار إحسانه سبيلا! وقد خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**». فقلن: وبمَ يا رسول الله؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**» [البخاري].

لا تكوني كهذه الزوجة..

لا تكوني مثل هذه الزوجة التي لا تقدّر نعمة الزواج العظيمة ولا تؤدي شكرها كما يجب، تقصيرا منها وإهمالا لا عجزا وضعفا، فما أن يرزقها الله بالزوج ويضمهما معا بيت واحد إلا وتخلع النقاب عن وجهها بالتدريج شيئا فشيئا ليظهر عاريا بلا تجمّل، فقد اطمأنت إلى وجود زوجها بجانبها وتأكدت من حبه لها وربطته كما تقول بالأولاد وظنت أنه صار في حوزتها، وأن لا مهرب له منها ولا مفر، وأن تغير الحال من المحال وأنها قدَره المحتم، فطلاقه لها وزواجه من ثانية لن يكون فهي وأهلها له بالمرصاد!

وهي لا شك مخطئة في هذا الظن الذي يترتب عليه التقصير منها، فتراها تهمل نظافة بيتها لا تهتم بمظهرها وملبسها وزينتها وجسمها، تتعلل بالعمل المرهق، أو بالحمل والولادة، أو السهر والرضاعة، وأعمال البيت وأشغال الأولاد وواجبات الصديقات وزيارة الأهل، لا تهتم بحقه كزوج، تراه يقدم عليها متعبا من عمله وهي لا تأبه له تفوح منها رائحة العرق وتختلط برائحة الثوم والبصل والطعام، وتبدو بلباس المطبخ دونما حرج، لا تحافظ على جمال جسمها ورشاقتها ولا تأخذ بأسباب الجمال التي تعفه وتحفظه من النظر لغيرها، ولو أنصفت لعلمت أن من أهم مقاصد الزواج العفة وتحصين الفرج وغض البصر وكل هذا يجب عليها تجاه هذا الزوج، وأن رفع الكلفة بينها وبين زوجها لا تمنع من حسن التبعل له.

إنها تريد أن يكون زوجها إمّعة!!

ولا تكوني كتلك التي تريد من زوجها أن يكون إمّعة، فلا كلمة له أو رأي! بل أي قرار موكول لها أو لأبيها وأمها! قد سلبت من الزوج أجمل ما فيه.. رجولته وقوامته وحريته، بيتها كتاب مفتوح أمام أهلها وصديقاتها وهي لا تكتم له سرا ولا تستر له عورة ولا تحفظ له جوارا، وغفلت عن دورها كزوجة يجب أن تكون هي الستر له والغطاء، وتناست أنها فارقت بيت أهلها وصارت له زوجة، وأن الله تعالى يقول: «الرجال قوامون على النساء».

إنها تضع وظيفتها في أعلى القائمة!!

ولا تكوني كتلك الزوجة التي تجعل عملها خارج البيت فوق كل شيء.. فهو فوق الزوج ودعوته، والأهل وصلتهم، والأولاد وتربيتهم، فتصرف له كل وقتها نهارها وليلها، وما فقهت أن في الحياة أولويات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وأن حق الزوج والولد يأتي بعد حق الله عز وجل، وأنها ما دامت خرجت للعمل فلا بد من تنظيم الوقت بين الحقوق والواجبات بحيث لا يطغى حق على آخر.

إنها تجعل من أم زوجها بطلة لمسرحية العداء المتوهمة بينهما!!

ولا تفعلي كهذه الزوجة التي تجعل من أم زوجها بطلة لمسرحية العداء المتوهمة بين [أم الزوج وزوجة ابنها] فتراها دوما للزوج شاكية متظلمة باكية، تظهر بمظهر الضعيف المقهور تؤول كل كلمة تسمعها كما يروق لها ولا تترك لحسن الظن بحماتها مكانا في قلبها، ولو كانت فيما تدّعي صادقة فإنها تقطع حبال الود بينه وبين أحق الناس بحسن صحبته، وتجعله في حال لا يحسد عليها، فإما أن يرضيها ويعق أمه، وإما أن يرضي أمه ويغضبها، وقد كان بإمكانها أن تجنبه هذا العناء بصبرها واحتسابها، ولطفها وحسن خلقها، فالفضل لمن يقابل السيئة بالحسنة لا من يرد الحسنة بالحسنة.. كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

إنها تعين زوجها على معصية الله.. وكل همها سد حاجاتها!!

واحذري أن تكوني تلك الزوجة التي تعين زوجها على معصية الله ولا تأخذ بيده

لطريق الخير والعمل الصالح، ولا تعبأ بسعيه لهداية الآخرين فتصبح كؤود في طريق دعوته إلى الله تعالى، تثبط من همته وتقلل من شأن دعوته، وتشكو ضيق وقته وانشغاله وتنقله وسفره، وكان بإمكانها أن تصبر معه وتأخذ بيده وتضحي في سبيل الله محتسبة لتشاطره الأجر وتقاسمه الثواب، لكنها للأسف لا يهمها إن ضيع زوجها الصلاة أو قصر في حق من حقوق الله ما دامت طلباتها مجابة حاضرة، بل إنها قد تدفعه للسرقة والرشوة والسحت وأكل المال الحرام بكثرة مطالبها وسوء اقتصادها وإسرافها وتبذيرها، لا تسأل من أين تطعمني وتسقيني، وبأي مال تغذوني وتكسوني، فكل همها سد حاجتها وظهورها أمام الناس بما يشبع كبرياءها.. وهذه الزوجة ليس لزوجها في قلبها ذرة من حب أو إخلاص وإن ادّعت ذلك، ولو أحبته حقا لخشيت عليه من عذاب الله ولأخذت بيده إلى طريق رضاه ولما جعلت للشيطان عليها سبيلا.

أيتها الزوجة.. كوني لزوجك سَكَنا كما أرادك الله تعالى..

وقد تتبعتُ كلمة السكن في بعض آيات القرآن الكريم ونظرت في تفسيرها ومعانيها فوجدت أن الله تعالى قد ذكرها في عدة آيات، منها قوله عز وجل: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ [الأنعام: ١٣] وكلمة [سَكَنَ] مَعناها هنا هَدَأَ وَاستقرّ. وفي قوله عز وجل: ﴿**وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا**﴾ [الأنعام: ٨٦] أي مَحَلا لِلسُّكُونِ لأنهُ يَسْكُن فِيهِ كلّ مُتحَرك بِالنَّهَارِ وَيَهْدَأ فَيَسْتَقِرّ فِي مَسْكَنه وَمَأْوَاهُ، وتَسْكُن فِيهِ الخَلْق مِنْ التَّعَب.

وفي قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ**﴾ [يونس: ٦٧] أَي يَسترِيحُونَ مِن نَصَبهم وَكَلّهم وَحَرَكَاتهم.

وفي قوله سبحانه: ﴿**وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيُوتِكُم سَكَنًا**﴾ [النحل: ٨٠].. أي تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة فهي سكن للناس لما يأوون إليها ويسترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع.

وفي قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿**إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُم**﴾ [التوبة: ١٠٣]. أَيْ إِذَا دَعَوْت لَهُمْ حِين يَأْتُونَ بِصَدَقَاتِهِمْ سَكَّنَ ذَلِكَ قلُوبهمْ وَفَرِحُوا بِهِ. وَالسَّكَن: مَا تَسْكُن بِهِ النُّفُوس وَتَطْمَئِنّ بِهِ الْقُلُوب.

وجاء ذكر السكن كذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وفي سياق الحديث عن آيات الله تعالى ونعمه ومنها نعمة الزواج إذ امتن على الرجل بأن جعل له زوجة من جنسه ليألفها وأحل له الزواج بها وجعله فطرة وغريزة فيه، وجعلها سكنا له يسكن ويَأْنَس بِهَا وَيَطْمَئِنّ لها، ويَأْوِي إِلَيهَا لِقضَاءِ حَاجَته منها، قال تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِن أَنفسِكُم أَزوَاجًا لِتسكُنُوا إِلَيهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَوَدَّة وَرَحمَة إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقوم يَتفَكرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فما أروع العلاقة بين سكن الزوجية وبين سكن كلّ من الليل والبيوت والدعاء.. وما أشبه الزوجة بالليل في ستره وتغطيته وهدوئه وسكونه وراحته للأبدان إذ تكون محلا لسكون زوجها وراحة بدنه.. وما أشبهها بالبيت في دفئه وصيانته واحتوائه وإيوائه إذ تكون محلا للهدوء والراحة من بعد التعب.. وهي بما تبث في نفس زوجها من طمأنينة وراحة وسكن واستقرار توشك أن تكون كدعوات الرحمة والكلمات الطيبات التي تسكّن النفوس وتجلب السكينة والطمأنينة للقلوب.

كنوزوخيرات.. للزوجات الصالحات..

هي كنوز سهلة وقريبة المنال من كل زوجة، لكنها تحتاج منها إلى جهاد نفس كبير خاصة بعد ارتفاع الأصوات من هنا وهناك تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة وتدعو لحفظ كرامة المرأة وإعطائها حقوقها، ووالله لقد حفظها لها الإسلام منذ بعث رسول الله ﷺ، لكنها تحتاج لمن يعلمها بحق ويطلبها بصدق ويؤديها بإخلاص، فهل من حق المرأة أن تكون مشاعا للجميع تخرج متى أرادت وتسافر حيثما شاءت بلا ضوابط أو شروط وكأنها لا زوج لها ولا ولي، وهل من حريتها إذا خرجت من بيتها أن يفسح لها زوجها المجال لتتعرى وتتخلى عن الحشمة والوقار ويقف ساكتا لا يأمرها بالستر والحجاب، وهل يحط من كرامتها أن تطيع زوجها في المعروف وتحسن التبعل له وتتحبب إليه وتتودد، وهل ينقص قدرها حين تخدمه بيدها وتنشر عبير المودة وظلال الرحمة من حوله وتكون له سكنا وأنسا. وهل يسيء إليها أن تكون قبل كل شيء أمّا ومربية ومصنعا ومدرسة

لتخريج الرجال في سائر التخصصات.

ألا وإن بإمكانك أيتها الزوجة أن تتخذي لك بذلك مكانا في الجنة مع إيمانك الصادق وعملك الصالح. فهو جهاد بلا سيف تفتح لك به الجنة أبوابها الثمانية، ودعك من النعرات المدوية المطالبة بتحرير المرأة بلا ضوابط أو قيود.. وثقي أن تحريرك الحقيقي إنما هو في اتباع منهج الله عز وجل والسير على طريقه جنبا إلى جنب مع شقيقك الرجل دون إفراط أو تفريط. وخذي من رسول الله ﷺ هذه الكنوز وأكثري منها.. فهو القائل لي ولك ولكل الزوجات: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت**» [أحمد]. وقال: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» [الترمذي].

ألا ما أجمل الزوجة الودود التي تذكر لزوجها إحسانه فتغفر زلاته وتستر سيئاته وتنشر حسناته، تشعره بضعفها معه وهي القوية، وحاجتها إليه وهي المستغنية، فيتسدفئها تحت جناحيه بعطفه وحبه، ويهبها من وداده وقربه، ويحميها من عواصف الحياة، لا تمله ولا يملها بل يهتف من أعماق قلبه شاكرا ربه ولسان حاله يردد قول القائل:

إن النساء رياحين خلقن لنا وكلنا يشتهي شمّ الرياحين.

* * *

١٤
إلى لاعب كرة القدم..

هذه رسالتي.. إلى صاحب القدم الذهبية التي حين يحرّكها تتحرّك معها مشاعر المشاهدين وجموع الشباب والمشجعين.. أقدمها لكل مَن كان لرياضة الكرة ممارسا أو محترفا.. عله يعرف الغرض الحقيقي من ممارسة هذه الرياضة المحببة إلى الكثيرين في هذه الأيام.. إنها إلى لاعب كرة القدم.

أيها اللاعب.. أين نيتك في رياضتك..

إن كل عمل تقوم به في دنياك لا بد أن يكون لك فيه نية تنويها وتجددها وتخلصها لربك، وتقوى هذه النية بتحديد هدفك ووضعه داخل إطار الطاعة له سبحانه وتعالى، فإنما الأعمال -كل الأعمال- بالنيات، وأنت إنما خلقت في هذه الحياة لتقوم بواجب العبودية في عملك كله صغيره وكبيره، لمن وهبك هذه القدم وعافاك، وأعطاك معها الصحة التي تمكنك من ممارسة هذه الرياضة، ومنّ عليك بأن رزقك ويسر لك أسباب قبولك كلاعب في أحد الفرق أو الأندية وجعلك كما يُقال نجما، وحباك بتشجيع جمّ غفير من جمهور الناس في مختلف المدن والبلدان، فتظهر صورتك أمامهم في البيوت والمقاهي على شاشات التلفاز ويتناقل المحبون أخبارك وأعمالك ويتحدثون عنك في مجالسهم ومدارسهم وشوارعهم ودورهم، بل ويتخذك بعض الشباب قدوة لهم.. أفلا يستحق ذلك منك وقفة واحدة صادقة لتصحح نيتك وترسم اتجاهك وتحدد مسارك.

الرياضة لك قوة.. فكن مؤمنا قويا..

إن ممارسة الرياضة المشروعة أمر لا ينافي ديننا الحنيف، بل إننا مأمورون بالأخذ بأسباب الصحة البدنية والقوة الجسدية والروحية، ولقد ضرب لنا النبي ﷺ القدوة العملية في ممارسة الرياضة، فصارع ركانة الذي كان أشد قريش وبطل المصارعة في زمانه

فلم يصرعه أحد أو يفز عليه وينتزع منه لقب البطولة سوى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام إذ صرعه عدة مرات، كما أنه ﷺ مارس الرياضة البدنية مع أهله وأسرته فها هو يسابق عائشة رضي الله عنها فتسبقه ويسبقها.. كما جاء عنها: «أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفر، قالتْ: فَسَابَقتهُ فَسَبَقتهُ عَلَى رِجْلِيّ، فَلَمَّا حَمَلتُ اللحْمَ سَابَقتهُ فَسَبَقَنِي فقال: هَذِهِ بِتلكَ السَّبْقَةِ» [أبو داود]. وهو الذي يقول لنا: «**الْمُؤمِنُ القَوِيّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤمِنِ الضَّعِيفِ..**» [مسلم].

ولا شك أن ممارسة لعبة كرة القدم بشكل صحيح يعطي للبدن قوة، ويصقل الروح ويهذب النفس ويدربها على تحمل الصعب وضبط النفس والصبر والجلد في سبيل تحقيق الهدف والفوز على الخصم الرياضي الآخر، وكذا بما تتطلبه تدريباتها من تصبّر على أدائها والتزام بقوانينها وامتثال تعاليم المدرب الخاص بها، كما أنها تدرب على العمل الجماعي والتحلي بروح الفريق الواحد، وتزيد من انتماء اللاعب لبلده وحسن تمثيله، وتعلم الاستسلام للقضاء والإيمان بالقدر بعد الأخذ بأسباب الفوز الذي هو أولا وأخيرا بتوفيق الله عز وجل، كما أنها أيضا تربط اللاعب المؤمن بربه تعالى فتراه يدعوه أن ييسر له ولفريقه أسباب الفوز، ويلح في الدعاء، فإذا ما منّ عليه بفوز خرّ له ساجدا شاكرا. وهذا يبين ضرورة أن يجعل المسلم نيته لله في كل أعماله.

للرياضة ضوابط وشروط..

لكن الرياضة شأنها شأن سائر الأعمال في حياتنا قد تكون نافعة إيجابية النتائج آمنة العواقب، وقد تكون ضارة سلبية الآثار فتنقلب محدثة أضرارا جسيمة متى ما أسيء فهم الغرض من ممارستها، لذا فإنها ولا سيما رياضة كرة القدم تحتاج إلى ضوابط تحكمها، وشروط تنظمها، وأخلاق تضبطها، وقبل ذلك إيمان كبير بالله عز وجل يحرك هذا اللاعب أو ذاك دون أن يعتريه أدنى غرور أو آفة تقصير أو سوء أدب.

وحينما نخصّ الحديث عن رياضة كرة القدم فإنما ذلك لما أحدثته هذه الرياضة اليوم من صخب واستحواذ على عقول الكثيرين وتصرفاتهم، لاعبين ومشجعين على السواء، إذ صارت لعبة عالمية دولية فاقت كل الألعاب، وقننتْ وأصبحت حرفة للاعبين وسبب

رزق للكثيرين ممن يتعاملون معها من مدربين وحكام وعاملين بل ورجال أعمال، وأضحت من أسباب تنشيط السياحة في البلاد التي تقام فيها بطولاتها الكبيرة. ومن هنا فقد أخذت حجما فوق حجمها الطبيعي مما يستدعي منا أن نقف لحظة فقط للتأمل ووضع النقاط على حروف هذه اللعبة المؤثرة، التي أوشكت أن تطغى على كل الرياضات بل على كل القضايا الهامة في حياة الناس.

ولست بصدد الحديث عن حكم هذه اللعبة فهذا شأن واختصاص أولي العلم شيوخنا وعلمائنا الأجلاء، لكني أردت من واقع معايشتي لها أن أذكر بعض الضوابط التي تضعها في دائرة أفضل مما هي عليه الآن «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»..

وإذا ما فكرنا في هذه الضوابط أيها اللاعب فإن أولها أن يكون الغرض الحقيقي من ممارستك لها هو التعبد لله تعالى بها فتتعدد النيات منك فيها وكلها تصب في مصبّ طاعته عز وجل، فنِيّة قوة البدن والصحة العامة وطلب المعاش، وتمثيل بلدك وحسن انتمائك له والحرص على ما ينفعك وينفعه، وكذا ما يكون من التعارف بين اللاعبين من مختلف البلاد والتآلف وتبادل المهارات قد تحققه في هذه الرياضة، وكذا الترويح على المشاهدين وتقديم القدوة الطيبة لهم من نفسك أمر طيب تؤجر عليه ما أخلصت له النية وسعيت لتحقيقه، كما أن الالتزام بمنهج الله تعالى وشرعه قبل وأثناء وبعد اللعب أمر مطلوب لا جدال فيه، فقبل اللعب لا تلهك تدريباتها عن ذكر، ولا تفوّت عليك طاعة، ولا تؤدِّ لتسويف واجب أو تنسِك برّ والد وصلة رحم وحق زوجة وتربية ولد وواجب أخوّة. أما أثناء اللعب فلا تظهر عورتك ولا تؤخر صلاتك ولا تعص مدربك ولا تسبّ منافسك ولا تؤذِ خصمك ولا تشتم أخاك ولا تشذ عن فريقك ولا تراءِ جمهورك ولا تنبذ الخلق الطيب مهما تكن الأسباب.

وقد بين الشيخ يوسف القرضاوي عدة ضوابط تحكم هذه اللعبة فقال:

لا مانع شرعا من لعب كرة القدم، إذ ليس فيها محظور شرعي، بشرط أن تراعى عدة ضوابط:

- أن لا تشغل لاعبها عن واجب ديني كأداء الصلوات في أوقاتها، أو دنيوي كمذاكرة الطالب لدروسه، أو شغل العامل عن كسب عيشه، أو إهمال موظف لوظيفته.

- أن تحترم قواعد اللعبة المتفق عليها بين أهلها، حتى أصبحت ميثاقا يجب المحافظة عليه، حتى لا ينقضه أحد جهرة أو خفية.

- أن لا يستخدم العنف ضد الفريق الآخر، فإن الله يحب الرفق، ويكره العنف.

- أن لا ينحاز لفريق ضد خصمه إذا كان حكما، بل يجب أن يكون محايدا، ويجعل العدل شعاره ما استطاع ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ثم قال: وكل المباحات مقيدة بعدم الإسراف، إذا بلغت حد الإسراف، استحالت إلى الحرام. بل العبادة إذا غلا فيها الإنسان أنكرها الشرع، وقال لمن غلا: إن لبدنك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لزورك [زوارك] عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.

إليك يا لاعب كرة القدم..

- أنت داعية لدينك وممثل لبلدك شئت أم أَبيْتَ فكن خير ممثل وقدّم للشباب خير قدوة بالتزامك بتعاليم دينك وحسن خلقك.

- احرص على أوقات الطاعات فأنت أقدر مَن يعرف قيمة الوقت، فالدقيقة والثانية قد تؤثر في نتيجة أي مباراة تشترك فيها فلا تكن دقائق حياتك وأنفاسك أقل نفاسة عندك من دقائق المباريات، فكم تعادل دقيقة من العمل الصالح في الميزان يوم القيامة.

- حاول أن تصلي الصلوات في أوقاتها واحرص على صلاة الجماعة ولو مع فريقك الكروي.

- انتبه واحذر أمراض القلوب من عُجْب وكبر وغرور، أوحسد وغيرة وبغضاء، أن تصيب قلبك فتمرضه أو تهلكه.

- احذر التعصب الأعمى الذي يفرق ولا يجمع وخذ بأسباب الفوز وتوكل على الله وارض بما يقدره بعد ذلك.

– احرص على التفقه في أمور دينك واعرف الحلال من الحرام لتفوز وتسلم، وحاول أن تنال قسطا وافرا من العلم والتعليم.

– كلما فزت في مباراة فتذكّر الفوز الحقيقي الكبير في الآخرة فاحرص عليه واسلك سبيله وخذ بأسبابه.

– إذا نظرت إلى شبكة الجول التي تصطاد الكرة فتذكّر شباك الشيطان التي ينصبها للناس ليل نهار ليصطادهم واحذر الوقوع فيها بارتكاب المعاصي والافتتان بالشهوات والسقوط في الفتن والشبهات.

– كلما أحرزت هدفا في شباك منافسك فاشكر الله وتذكر هدفك الأسمى والأغلى وهو رضا ربك عنك ودخولك جنته.

– كلما ارتفعت قدمك لتسدد الكرة فتذكر نعمة الله عليك بالعافية واشكره عليها يزدك ولا تغتر لهدف أحرزته أو توفيق وفقك ربك إليه.

– اعلم أن أيام الرياضة يومان، يوم لك ويوم عليك وأن الرياضة غالب ومغلوب، وليست الغلبة هي مفتاح النجاة كما أن الهزيمة ليست هي نهاية الدنيا فالأيام سجال، فلا يغرنك الفوز، ولا تحبطنك الهزيمة، بل إذا غلبت فتواضع واشكر، وإذا كانت الأخرى فاستغفر واصبر.

– لا تكن مقلدا لغيرك من اللاعبين في ملبسك ومظهرك وشعرك، واحرص على ألا ترتدي ملابس الرياضة التي تحمل إعلانات غير لائقة وكن متميزا وذا هوية كلاعب مسلم.

– اقتصد في نفقتك ولا تكن مسرفا مبددا لمالك وليكن للفقراء واليتامي والأرامل والمساكين والضعفاء والمنكوبين حق فيه عليك فالمال مال الله وأنت مستخلَف فيه.

– لا تكتفِ باحترافك للكرة وليكن لك عمل آخر معها كمورد للرزق تشارك فيه بجزء من مالك وتسد فيه حاجة الكثيرين من الشباب للعمل وتقلل به من نسبة البطالة، وحبذا لو اشترك عدد من اللاعبين معا في إقامة مشروع خيري يدر الخير على الناس وعليهم في الدنيا والآخرة، كما فعل بعض اللاعبين جزاهم الله خيرا.

- لا تنسَ إخراج زكاة مالك ولا تحرم نفسك من أجر كفالة يتيم أو أكثر.

- احذر فتنة النساء وتحصّن بالزواج ولا تلتفت إلى نظرات المعجبات من النساء والفتيات واغضض الطرف عنهن «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا».

- ليكن لك جلساء خير إذا أخطأت ذكّروك وإذا أطعت أعانوك وما أجمل ما نسمع عن بعض اللاعبين ممن يحرصون على تعلم العلوم الشرعية ويجتمعون على ذكر الله فيصلون معا ويقرؤون القرآن معا ويسجدون شكرا لله معا.

- احرص على أداء الحقوق لأهلها، فبرّ والديك «وصاحبهما في الدنيا معروفا» وأحسن عشرة زوجتك وتربية أولادك وقِهم النار، وزُرْ مريضا وصِلْ رحما واسْعَ في قضاء حوائج الناس ما استطعت.

- التزم بآداب اللعب فلا تكن عنيفا، وراقب الله في تصرفاتك فلا تحاول أن تفتعل الاحتكاك بينك وبين منافسك لتأخذ ما ليس من حقك فالله يراك و«إنه يعلم السر وأخفى».

- إذا تيسر لك الاحتراف خارج بلدك فكن مثالا لائقا مشرّفا، واحرص على دينك وتمسّك به حرصك وتمسّكك بالحياة، ولا يغنيك الاحتراف عن الانضمام إلى فريقك الوطني ولا يمنعك من أن تكون واحدا من أفراد منتخبه القومي، فالتشجيع والانتماء حق للوطن علينا جميعا.

وأخيرا.. لا تنسِك كرة القدم قضايا أمتك الهامة الكثيرة والمشاركة فيها وفي دعمها بكل ما أوتيت من قوة، فما هكذا يفعل الأبطال، ولا تلهك البطولات عن الغاية العظمى التي من أجلها خلقت، ولا تذهب بك الكؤوس بعيدا عن الهدف الخالد [الجنة] الذي من أجله يجب أن نسعى، وليس من اللائق بك أن تعصي ربك أو تتمرد على أوامره أو تكسل في أداء عملك أو تغتر بشهرتك أو ترائي بأقوالك، فإن عين الله ترصدك قبل أن تتطلع إليك العيون، وكاميرا المراقبة تصوّر حركاتك، وأقلام الكرام الحفظة تسجل كلماتك، وأجَلك المسمّى تُعَدّ معه أنفاسك، فانظر أيّ قول تتلفظ وأي كلام تتكلم وأي عمل تقوم به.

١٥
إلى مشجع كرة القدم..

إليك يا مَن عشقتَ رياضة كرة القدم فصارت لك هواية، وتعلقتَ بلاعبيها فكنتَ لهم مشجعا..

إليك يا مَن لا حماس للاعبين بدونك، ولا انتعاش لهم من غير تشجيعك..

إلى كل مَن يحب الرياضة ويشجعها، ويؤازر ذويها، ويدفعهم إلى الفوز فيها..

ساعة..وساعة..

إن الرياضة يمكن أن تتحول إلى طاقة فاعلة بما تحدث من تسلية طيبة وترفيه مباح يعيد للنفوس نشاطها فتعطي وتؤدي ما يُطلب منها على أكمل وجه وأتمه، وقد علِم النبي ﷺ – وهو الرحمة المهداة – ما يعتري النفس البشرية من ملل وسآمة إذا ما كانت تسير على وتيرة واحدة دون وقوف للراحة والترويح، واعتبر ذلك الوقوف نوعا من التزود لرحلة الحياة والعمل الصالح والإنتاج فقال: «**روحوا القلوب ساعة وساعة**» [أبو داود]. أي أريحوها بعض الأوقات من مكابدة العبادات بمباح لا عقاب فيه ولا ثواب. وذكر عنده ﷺ القرآن والشعر فجاء أبو بكر فقال: أقراءة وشعر فقال: «نعم ساعة هذا وساعة ذاك». وقال علي رضي الله عنه: «أجِمّوا هذه القلوب فإنها تمل كما تمل الأبدان» أي تكلّ.

فالناس بَشَر، وهم بحاجة لتجديد نشاطهم كي يجدّوا في أمور دينهم ودنياهم، وقد ظن بعض الصحابة أن ذلك مما يخالف ما هم عليه من تقوى أو أنه يجرهم إلى النفاق فجاء عن حنظلة الكاتب التميمي الأسيدي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنار حتى كأنا رأي العين فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت قال فذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكر فقلت نافقت نافقت فقال أبو بكر إنا لنفعله فذهب حنظلة فذكره للنبي ﷺ فقال: «**يا حنظلة لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على**

فرشكم أو على طرقكم يا حنظلة ساعة وساعة» [ابن ماجه]. أي ساعة كذا وساعة كذا، يعني لا يكون الرجل منافقا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم لينتظم أمر الدين، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم لينتظم بها أمر الدين والمعاش وفي كل منهما رحمة على العباد.

بعض أسباب الإسراف في مشاهدة وتشجيع كرة القدم..

إن القلوب تملّ والنفوس تتوق عادة إلى التغيير ليتجدد نشاطها، والحياة عامة في هذه الأيام قد أخذت طابعا مختلفا عن ذي قبل، إذ يتعرض فيها المرء إلى صور متنوعة من الضغوط النفسية الكثيرة ويعايش أشكالا متعددة من الأحداث الدموية تحيط به في شتى بقاع الأرض، فهناك ضغوط مادية وأزمة اقتصادية على مستوى العالم يمر بها الجميع، وهناك ضغوط العمل التي لا يستطيع الفكاك منها، وواجبات التعليم ومتطلباته، وحقوق الأهل والأولاد والأقارب والأرحام، وحقوق اجتماعية للجيران والأصحاب والمجتمع، يتزامن هذا كله مع غلاء الأسعار وزحمة المواصلات وكثرة الطلبات. كما أننا نمر بأحداث يشيب من هولها الولدان، قتل وذبح وتهجير وتشريد، سفك دماء وخراب بيوت، سجون ومعتقلات، تعذيب وسرقة للأعضاء، أنين الجرحى وآهات الثكالى وبكاء الأيتام، زلازل وفيضانات وسيول وأعاصير، هدم وحرق وغرق، أمراض وأوبئة وفيروسات، تطاول البعض على الدين ونبي الرسالة ﷺ، كل هذا نعاصره ونسمع عنه وكأننا نراه رأي العين إذ تلاحقنا أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة بالأخبار ليل نهار أينما كنا، ويكاد المرء منا ينام على أصوات هؤلاء المنكوبين ويصحو عليها، أضف إلى ذلك ارتفاع نسبة البطالة وزيادة أوقات الفراغ خاصة عند كثير من الشباب الذين لا يجدون عملا ولا يحسنون استغلال أوقاتهم ويفتقدون الموجّه القدوة، فتمتليء بهم المقاهي والشوارع وهم مَن يلتهبون حماسة وحمية في هذه الفترة الزمنية الهامة من حياتهم. وفي ظني أن هذا من أهم أسباب الإسراف والانشغال بكرة القدم الذي زاد عن حده في هذه الآونة، حيث صار وسيلة للتنفيس والهروب، ومَدعاة لأن يصرف المشاهد ذهنه عن كل شيء حوله ويفرغه من مشاكله وينسى فيها مشاغله ولو إلى حين، وإن كان الأصل فيها

أنها رياضة محبوبة يقضي معها الهواة فراغهم بشروط، وأداة للتسلية والترفيه بضوابط، وعامل مساعد على تغيير روتين الحياة اليومية لكن باعتدال وبلا إسراف، ودون تضييع لحق أو تأخير فرض أو تعطيل واجب.

مهلا.. يا مشجع كرة القدم..

وكأن الجميع في هذه الأجواء الساخنة مع ما يعتصم به الكثيرون من اللجوء إلى الله تعالى أن يفرج الأزمة وينصف المظلوم من ظالمه، ومع ما يفعله معظم الغيورين منهم من احتجاج ومسيرات يعبرون فيها عن سخطهم وينادون بالعدل والمساواة الإنسانية مع كل الشعوب في الأرض ويطلبون بردّ الحقوق إلى أصحابها، إلا أنهم يجدون في متابعة مباريات كرة القدم متنفسا تستهويه نفوسهم ينقلهم من عالم الحقيقة إلى عالم اللعب والخيال! ومع ذلك نرى بعض المشجعين يصبون جام غضبهم على الفريق المناوىء لفريقهم حتى يخيل إليك أنهم في معركة حقيقية وكأنه خصم لدود قد تسبب في مشكلات العالم كلها، أو أنهم يتوهمون أن فوز فريقهم هو النصر بعينه وهو الفوز على الأعداء في ساح الوغى!

إن حب الرياضة يدعوك -يا مَن تشجعها- لممارستها وتشجيع مَن يمارسها دون غلوّ أو إسراف، لكنا نرى كثيرا ممن يحب كرة القدم ينتمي لفريق معين اختاره، ويفتخر بالانتساب إليه ويعلنه بنفسه وإلا فبمظهره وملابسه الرياضية التي يرتديها حيث تحمل الاسم والشعار واللون لهذا الفريق أو ذاك، ومع عدم الوعي الكامل بتعاليم الدين السمحة وأخلاقه الجميلة تتكون أحزاب من الفرق الكروية كل يروج لحزبه ويدعو إليه ويختصم من أجله ويجاهد حتى الموت في سبيله، بل ويتحول إلى إرهابي في وجه إخوانه يرهبهم بقوله وفعله فيكسر ويضرب ويجرح ويؤذي ويتعصب حمية كحمية الجاهلية أو أشد، فلا يتورع عن ذلك أو بعضه ولو أدى به الأمر إلى وقوع الفتنة بين الأخ وأخيه وهما من يربطهما أوثق العرى، عروة الإسلام والإيمان، كما حدث في الأيام القليلة الماضية، ويأخذ التحيز لفرقة ضد أخرى أشكالا يندى لها الجبين على المستوى المحلي والدولي، فلماذا لا تُوظف هذه الروح الرياضية بالشكل المناسب المطلوب، ولماذا يوصِل الغلو إلى

هذه الحال المزرية التي يضيع معها الغرض من هذه الرياضة ويُساء فيها فهم التشجيع الذي يصل بصاحبه إلى التطرف ويأخذه إلى العنف ويدعوه إلى التخريب.. فيميل كل الميل وكأنه صاحب مذهب يقدسه لا يريد له مساسا، أو مَلَك معصوم لا سبيل لخطئه، تأخذه الحمية حتى مع لاعبي فريقه المختار أحيانا فيرضى عنهم إن فازوا وأحرزوا الأهداف، ويسخط عليهم إن لم يشبعوا غروره بالغلبة، وما علم أن الغرض من الرياضة هو رياضة النفوس وقوة الأبدان، وأن التنافس فيها يعني أن هناك غالبا ومغلوبا، وما وطّن نفسه على قبول الهزيمة كما يقبل النصر، ولم يعوّدها الرضا بالقدر خيره وشره والاستسلام للقضاء حلوه ومره، فهذا ركن ركين من أركان الإيمان لا يقوم إيمان المسلم إلا به. يدّعي حب الرياضة وأبطالها وينقض ذلك بأفعاله إذ يسبّ اللاعب إن أضاع فرصة، أو يشتمه إن خانته الكرة فلم تدخل المرمى، فلماذ لا تكن منصفا عادلا أيها المشجع فتحسب الإيجابيات كما تتصيد الأخطاء، ولماذ تقبل إحراز الهدف ولا تعذر إن طاش، أليست هذه هي الرياضة، فهل رأيت فريقا واحدا ملك الأهداف كلها فأحرزها وحده، وفاز في كل المباريات فلم يُغلب، وحصل على كأس العالم فيها طول العمر، إن هذا شيء محال، حتى ولو حدث فلن يدوم لأن سنة الحياة التغير وعدم الثبات، وسِمتها الدوران والتداول، ليس في كرة القدم فحسب بل في أحوال الناس المختلفة، ومن أجل ذلك لا ينبغي أن يكون مشجع الكرة بذيء اللفظ سيء الخلق سليط اللسان لا يسلم من أذاه لاعب أو مدرب أو حكم أو مشجع لفريق آخر غير فريقه.

إياك والتعصب.. إياك والعنف.. إياك وسوء الخلق..

فيا مَن وجدتَ في الانشغال بمتابعة كرة القدم بديلا وشاغلا لأوقات فراغك، وهدفا تتشبث به وتعطيه جزءا كبيرا من وقتك واهتماماتك، يا مَن تحاول أن تعلن في تشجيعها عن ذاتك، وتفصح فيها عن أخلاقك، وتثبت بالتعصب لها وجودك، وتتخذ من متابعتها هواية ومتنفسا، فأسرفت في المتابعة حتى الهوس، وجاوزت الحد في التشجيع حتى التعصب، تعادي في سبيلها من يخالفك وتدنس لسانك بما لا يليق بك كمسلم، فصرت غضوبا متعصبا عنيفا مخربا وظننت أنك في معركة المصير النهائية مدعيا بذلك

حبك للرياضة، أما علمت أن لهذه الرياضة شروطا ولتشجيعها ضوابط حتى يتحقق الغرض منها في ظل الخلق الجميل الذي يأمر به ديننا، ألا تذكر قول النبي ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**» [الحاكم]. «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت**» [الطبراني] وأنه «**ما شيءٌ أثقلُ من ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من خُلقٍ حسنٍ فإنَّ اللهَ تعالى ليُبغضُ الفاحِشَ البذيءَ**» [الترمذي] وأن أكثر ما يدخل الجنة «تقوى الله، وحسن الخلق» [الترمذي]. وقد قال الإمام أحمد: حسن الخلق، أن لا تغضب ولا تحقد، وأن تحتمل ما يكون من الناس.

وهلا علمت أن العنف ممقوت مذموم وقد قال لك النبي ﷺ: «**إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**» [البخاري] و«**إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله**» [البخاري] وأن «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**» [مسلم].

إن هناك من يؤدي به فوز فريقه إلى التخريب والتكسير والتلفظ بالألفاظ النابية وإشعال نار العداوة والبغضاء، وتوصله هزيمته أيضا إلى كل ذلك وكأن الأمر عنده سواء المهم أن يخرج ما في نفسه من مشاعر إيجابية أو سلبية على السواء وليكن بعدها ما يكون، أما علمت أن الإسراف في أي شيء منهي عنه حتى في العبادات فما ظنك إن كان فيه الإضرار بالناس والبلاد والممتلكات واللاعبين والشوارع، بل والمشاعر الإنسانية والعلاقات الأخوية والسياسات الدولية. كيف وقد قال النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يشتمه**» [أبو داود]، «**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**» [النسائي].

انتبه.. وأعط المباريات حجمها الطبيعي فحسب..

لذا فأنت - يا من تشجع كرة القدم- منهي عن التعصب في هذا المقام وقد قال النبي ﷺ: «**ليس منا من دعا إلى عصبية**» أي من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية. قال ابن الأثير: العصبي الذي يغضب لعصبيته ويحامي عليهم، والتعصيب المدافعة والمحاماة. وقال ابن تيمية: بين بهذا الحديث أن تعصب الرجل لطائفة مطلقاً فعل أهل الجاهلية محذور مذموم، بخلاف منع الظالم وإعانة المظلوم من غير عدوان فإنه حسن بل واجب.

وقد يقول قائل إنني أشجع بلدي وأحبها وما أفعله إنما هو من أجلها! وما أجمل هذه الروح الطيبة، روح الانتماء، وقد قيل إن حب الوطن من الإيمان، وهذا شيء طيب، وأطيب منه ألا تسيء لوطنك بتلك الأفعال المنكرة من التجمع والتحزب كالعصابات وإثارة الناس بالشغب والفوضى والتنديد بالغير وترديد الشعارات والهتافات المضادة المثيرة للفتنة، وفي ظني أن هذا يدخل تحت التعصب الممقوت والحمية الجاهلية التي تفرق ولا تجمع، وهو بعينه ما يريده لنا أعداء أمتنا في كل زمان حتى ننسى قضايانا الهامة ونغفل عنها، لذا فنحن جميعا على المستوى الفردي والجماعي مأمورون شرعا بالاعتدال والتوسط في أمرنا كله.

دعوة.. وأمل..

إلى كل مشجع.. لا تعط كرة القدم أكثر من حقها فتكون لما عليك من واجبات جائرا ظالما، ولا تسرف في مشاهدتها فتكون لوقتك وعمرك مبددا مضيعا، ولا تتعصب في تشجيعها فتقع في الغلو الممقوت، وكن معتدلا معها متابعة وتشجيعا تخرج من دائرة الإسراف المحرم، وانظر حولك وتفكر في قضايا أمتك الهامة أليس فيها ما يشغلك ويستوقفك ويستوجب اهتمامك ويتطلب دعمك وعطاءك، فاتق الله وأعطها ما تستحق من الاهتمام والمشاركة الإيجابية الفعالة حتى تُعذر أمام ملك الملوك سبحانه وتعالى.

يقول سماحة المستشار فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء:

[مما لا شك فيه أن المباريات الرياضية تأخذ اليوم حجماً أكبر بكثير مما يلزم خاصة في بلاد المسلمين، وتستعملها كثير من الأنظمة لإبعاد الناس عن المشاركة السياسية ولتنفيس المشاعر المحتقنة بسبب الكثير من الممارسات الشاذة. إننا أمة منكوبة وأمة ممزقة وأمة متخلفة، هذه قضاياها الأساسية التي يجب أن تبذل فيها الجهود قبل هذه المظاهر المباحة. ولذلك، فإني أدعو الشباب خاصة إلى أن يكون أكثر جدية في حمل هموم المجتمع وقضايا الأمة، وإلى أن يكون أكثر إيجابية في العمل المنتج وألا يعطي لمثل هذه الأعمال المباحة أكثر من حجمها الطبيعي المفروض في حياته الشخصية وفي حياة الأمة.. والله أعلم]. [إسلام أون لاين].

فهيا قدم دليل إيمانك وعلامة صدقك فيه.. قالَ الحَسَن البَصريّ: ليسَ الإِيمَان بالتَّحلي وَلا الدِّين بِالتمَني وَلكِن مَا وَقَرَ فِي القُلوب وَصَدَّقته الأعْمَال.

وأعدّ للسؤال جوابا.. قال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال: ﴿**وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٣].

* * *

١٦
إلى كاتب..

هذه رسالة هامة أوجهها إلى أصحاب الأنامل الرقيقة التي كرمها الله تعالى بإمساك القلم..

إلى مَن أعطاه الله تعالى موهبة الكتابة ومنحه وسائلها، ورزقه حبها ويسّر له سبيلها، وعلّمه ما لم يكن يعلم..

إلى كل عامل في حقل التوجيه بشتى مجالاته ومختلف تخصصاته..

إلى كل مَن يخط بيمينه معلما وموجها، وكاتبا ومؤلفا، ومفكرا ومحللا..

إلى كل كاتب مَنّ الله تعالى عليه بنعمة الكتابة وعلمه بالقلم..

هذه رسالتي موجهة إلى هؤلاء جميعا، وهي لي أولا قبل أن تكون لأيّ منهم..

الكتابة صاحب وصديق.. وأنيس وشريك..

إن الكتابة نتاج عصارة الفكر وخلاصة مكنون الصدر وصادق حديث النفس، وهي وسيلة التخاطب عن بُعْد مع مَن عرفت ومن لم تعرف، ومن خلالها تصل المعلومة النافعة والتذكرة الطيبة والنصيحة الخالدة، فترتبط الأرواح وإن لم تلتق الأجساد، كما أنها تكسر حاجز الرهبة في النفس التي قد يلجمها الخجل فلا تملك الشجاعة الأدبية على الكلام مشافهة فتبوح به على الورقة بلا سابق إنذار أو استئذان.

وقد تكون الكتابة هواية يهواها كثير من الكتّاب ويمارسونها فيتخذون منها شاغلا لملء فراغهم ومتنفسا لما يعتلج في صدورهم ومستودعا لمكنون قلوبهم، وقد يتخذها بعضهم وسيلة للدعوة المكتوبة والمقروءة وأنعم بها من وسيلة تصل بين الكاتب والقاريء، إذ يتسلل الكاتب من خلال سطورها إلى شغاف القلوب، ويخترق في طريقه

ثنايا العقول مُحْدِثا فيها الحركة والنشاط من بعد خمول، ومن خلال هذا التجوال مع الحروف وبين السطور يتحقق غرضه ويتلاقى مع نفوس قرائه وإن لم يشاهدوه حتى يتم التواصل وتصل المعلومة، خاصة إن كان ممن حباهم الله تعالى وخصهم بمزيد من الحكمة والبيان وكما قال النبي ﷺ: «**إن من البيان لسحرا**» [البخاري]

وقد اتخذها البعض الآخر حرفة منها يقتاتون، وعملا يدرّ عليهم بعض المال الذي يعوضهم عن ساعاتها الطويلة التي يعكفون فيها عليها، وكثير منهم يمضون أوقاتهم ويقطعون أنفاسهم ويفنون أعمارهم وهم في طريقهم سيرا بين رياض المعارف وبطون الكتب وأرفف المكتبات ودور العلم وقاعات المحاضرات، ينقبون عن الماضي ويعيشون الحاضر ويتخيلون المستقبل ليقطفوا لي ولك من كل بستان زهرة جميلة، ويرسموا لنا لوحة متكاملة مكتوبة من صور الحياة في كل العصور، فالكتابة ليست بالأمر الهين، والمقدرة عليها نعمة من الله سبحانه وتعالى يستشعرها مَن كان له نصيب منها قلّ أم كثر، وهي صديق وفيّ لا يملّ منك، وإنما يصطحبك أينما كنت، وهي أنيس في حياة الوحدة، وشريك في زمن الغربة، وصاحب في دروب السفر الطويل، ودعوة من غير لسان، وترجمان لثقافة الشعوب، وهي نتاج العقول على اختلاف قدرها، وعصارة المفاهيم على تنوعها، وتداول لشتى اللغات، وبها تخرج المشاعر الدافقة على هيئة حروف وكلمات متناسقة!

أدوات الكتابة..

وأولى أدوات الكتابة كان القلم.. والقلم نعمة من الله تعالى على عباده فقد كان بحمد الله ولا زال الأداة التي ترمز وتؤدي إلى الكتابة، ووسيلة المعرفة الهامة على مر العصور.. والقلم ذو مكانة عالية استمدها من تكريم الله تعالى له إذ هو أول ما خلق كما جاء عن النبي ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد**» [الترمذي وصححه الألباني] وقد أنزلت سورة قرآنية كاملة تحمل اسمه [سورة القلم] وأقسم الله به في كتابه العزيز فقال: ﴿**وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾. وفي تفسير الآية قيل: الظَّاهِر أنهُ جنس القلم الذِي يُكتب به كَقولهِ ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ ۞ الإِنْسَانَ مَا لَمْ**

يَعْلَمْ﴾ فهُوَ قَسَم مِنهُ تعَالَى وَتنبيه لِخَلقِهِ عَلى مَا أنعَمَ بِهِ عليهم مِن تعلِيم الكِتابَة التِي بِهَا تنال العُلوم، وَهُوَ وَاقِع عَلى كُلّ قَلم مِمَّا يَكتُب بِهِ مَن فِي السَماء ومَن فِي الأرض، ولِهَذا قَالَ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يَعني وَمَا يَكتبُونَ أي الملائكة يكتبون أعمال بني آدم؛ وقيل: الناس ما يكتبون ويتفاهمون به، يقال سطر فلان الكتاب فهو يسطر سطرا إذا كتبه.

وقيل أن القلم هو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الأقلام ثلاثة..

قالَ عُلمَاؤنا: فالأقلام فِي الأصل ثلاثَة: القَلم الأول: الذِي خَلقهُ الله بِيَدِهِ، وأمَرَهُ أن يَكتُب. وَالقلم الثانِي: أقلام الملائكة، جَعَلهَا الله بأيدِيهم يَكتبُونَ بِهَا المَقادِير وَالكَوَائِن وَالأعمال. وَالقلم الثالث: أقلام الناس، جَعَلهَا الله بأيدِيهِم، يَكتبُونَ بِهَا كَلامهم، وَيَصِلونَ بِهَا مَآربهم.

ومهما تطورت الآن سبل الكتابة وأدواتها وتنوعت الأقلام وتغيرت أشكالها وقلّ استخدامها فإن القلم يظل عَلما عليها ومشيرا إليها لا ينقص من مقداره شيء.

أول من خطّ بالقلم..

وقد قال النبي ﷺ: «**أول من خط بالقلم إدريس**» فالكتابة كانت منذ زمن بعيد والقلم كان ملازما لها، وحين منّ الله تعالى على بني آدم بنعمة القلم منحهم معه الوسائل المعينة على الخط والكتابة به، من عقل مفكر ويد متحركة ومادة يكتب عليها وأصابع ممسكة، لتتم نعمة العلم والتعليم، فهو سبحانه «الذِي عَلّمَ بِالقلمِ.علم الإنسان ما لم يعلم» أي علم الإنسان الخط بالقلم ولم يكن يعلمه.

ولهذا يقول قَتادَة: القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو. وما دُونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا

كُتب الله المنزلة إلا بالكتابة؛ ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا. [تفسير القرطبي].

وَفِي الكِتابَة فضَائِل جَمَّة، وَالكِتابَة مِنْ جُملَة البيَان، وَالبَيَان مِمَّا اختص به الآدَمِي. وفي الأثَر: قيدُوا العِلم بالكِتابَةِ.

أيها الكاتب.. الحروف بين يديك أمانة.. فانتبه..

وحين يمسك المرء منا قلمه ليخط به كلماته، فإن الحفظة من الملائكة الكرام البررة تمسك أيضا بأقلامها لتسجل ما نسطره، وإن كان الكاتب يكتب ما يكتب وحده في خلوة فإن الله معه يراه ويراقبه ويعلم سره ونجواه، وينظر إلى قلبه ويديه وأصابعه، ومن هنا كانت أمانة الكلمة المكتوبة عظيمة، ومراقبة مَن علّم بالقلم مطلوبة، والمادة المنتقاة بإتقان ضرورية، وكلماتنا مصيرية تحدد مصير ما نكتب أيُحسَب لنا أم علينا، لذا فينبغي لكل كاتب أن يبدأ بتصحيح نيته في كتاباته، وتجديدها كلما صارت بالية أو أوشكت، وليتذكر أن عليه حين يضبط حروفه بالشكل المناسب أن يضبطها أولا بالنية الخالصة، وكلما سار بها في اتجاه معاكس للقيم أو المباديء فليتذكر صراط الله المستقيم ويثبت عليه ولا يتنكبه، حتى لا تزلّ قدمه على الصراط المنصوب فوق شفير جهنم.

أيها الكاتب.. أنت مسئول أمام الله عما تكتب..

ومهما كانت كتاباتك قليلة أو كثيرة، صغيرة أو كبيرة، فلا بد لكل كلمة تكتبها من محاسبة ومراقبة وتصحيح وتوجيه وأمانة ومسئولية حتى تنضبط الحروف لك وتستقيم معك وتنعم بمصداقية الكلمات وتؤدي الغرض منها. وإذا كان التلفظ بالكلام بألسنتنا لا بد فيه من التوقف والتفكر قبل النطق به فمن باب أولى التلفظ به بأيدينا كتابة على أوراق الكتب والقصص والمجلات وفي الصحف والسيناريوهات أوْلى وأهم لبُعد مدى وصوله إلى مختلف الفئات خارج الحدود الجغرافية نظرا للطفرة التكنولوجية التي سادت معظم البلاد، وكذلك ما يكتب في غرف المحاكم المغلقة من تقارير سرية وما يدون في دور القضاء من أحكام، وعلى أوراق الشهادات المختلفة وفي دور الإفتاء، وما يكتب من مناهج التعليم وما ينشر مكتوبا على شاشات الإنترنت والمنتديات بشتى اللغات، وما يخطه بعض الفتيان والفتيات من رسائل الحب وكلمات الغرام بعيدا عن دائرة الزواج

الشرعي، كل ذلك يكون الكاتب عنه مسئولا أمام الله عز وجل، كما قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**» [متفق عليه].

الحروف متنوعة.. والكُتاب متنوعون..

وحروف الكلمات التي نكتب منها غاية في الإعجاز الإلهي وسبحان من ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ ۞ عَلَّمَهُ البَيَانَ**﴾، ولا يعنى تنوع الحروف وتنوع الكتاب والمؤلفين إلا إثراء الساحة بالعلوم المختلفة والآراء البناءة، التي تصلح من شأن البلاد والعباد، وليس لك الحرية المطلقة أن تكتب ما شئت وتدون كل رأي دون ضوابط أو شروط، فلكل عمل قواعده ولكل مهنة أصولها المتبعة التي تمنعها من الانحراف عن المنهج الوسط، وتحفظها من الانجراف إلى السيل المدمر للمباديء والأخلاق والقيم، ومن احتج بحرية الرأي فقد جار وظلم، فللحرية حدودها، وليس من الحرية مثلا أن تستخدم قلمك في طعن إخوانك أو التشهير بهم أو هتك عوراتهم، وليس من العدالة أن ننشغل بعيوب الناس ونفتش عنها ونعرض لها الحلول ونترك عيوبنا دون دواء، وليس من الحرية كتابة ما يسيء لدين الله أو الطعن في أنبيائه أو الاستهزاء بهم، وليس من الحرية أن تسن قلمك على من يخالفك رأيا أو فكرا لتنتصر لنفسك لا لأن تظهر الحق إن كنت عليه حقا، ولا أن تنشر فكرا تعتنقه يخالف إجماع الأمة وتخطّيء أو تكفّر من يخالفك فيه، وليس من الحرية أن تسلط قلمك سيفا على رقاب من يلتزم أوامر الله فتسميهم أصوليين وإرهابيين ومتطرفين ومخربين ورجعيين ومتخلفين دون دليل أو بينة، وليس منها أن تشن الهجمات الساخنة على الحجاب والمحجبات فهذا أمر لم يوكل لبشر، أو اتهام النقاب والمنتقبات دون احترام لخصوصيات الناس ومشاعرهم.. ألا إن الحرية الحقيقية من كل ذلك براء وهي في حِلّ منه أمام الله عز وجل.

أيها الكاتب.. أين بصمتك في كتابتك؟.

لقد كثر الكُتّاب والمؤلفون في هذا الزمان، وزادت الكتب وانتشرت المكتبات، فهل تظهر بصمتك أيها الكاتب على ما تكتبه، وهل تحب أن تترك أثرا بعد رحيلك يتبعك ويجري عليك أجره إلى يوم القيامة..

إن الناظر إلى الكتابة اليوم يجد أنها قد نهضت نهضة كبيرة خاصة مع ظهور الحاسوب والطابعات والمطابع ودور النشر، فكثرت الكتب وفي المقابل قل قارئوها، وزادت المادة المكتوبة وأيضا زاد زهد الكثيرين فيها، وهذا يحتاج من الكتّاب والمؤلفين وقفة ونظر، وفي ظني أننا نحتاج إلى صياغة جديدة لأسلوب التخاطب مع القارىء، وابتكار في أسلوب الكتابة يكون أكثر جذبا لاستمالة نفوس القراء إليها، أسلوب يحمل بين طياته الفكرة التي تود أن تصل إليهم بطريقة سهلة لا تعقيد فيها ولا تطويل، باختصار لا يفسد المعنى ولا يخل بالمضمون.. نريد جرعات ثقافية مبسطة تكون كالوجبات السريعة يطعمها عامة الناس حيث انشغال معظمهم طيلة نهارهم بلقمة العيش كما يقولون، نريد أن يكون هناك ترابط بين الكاتب وقرائه للتواصل فيما بينهم وإبداء الرأي وتلقي النصح والنقد البناء. نريد أن نفسح لهمومنا وقضايانا مكانا في كتاباتنا، نريد أن نعالج مشاكلنا في بيوتنا وأسرنا وحياتنا، نريد أن ندافع عن ديننا ومقدساتنا ورسالتنا ونبينا.. أن ندعو إلى ديننا ونُعرّف برسولنا وقيَمنا وأخلاقنا.. أن نربي أولادنا ونعلّم أجيالنا وننشيء عقولا واعية فريدة.. على ألا يطغى جانب من تلك الجوانب على غيره فيضيعه.. ألا إن الكتابة رسالة.. والكتابة أمانة.. والكتابة مسئولية.

ضوابط لا بد منها عند الكتابة..

الكتابة متعة حقيقية لا تقل شأنا عن القراءة، إلا أن القراءة هي البداية، وعندما تقرأ فأنت موصول بالكتاب مرتبط بما فيه، أما عندما تكتب فأنت تنطلق وتطلق لخيالك وفكرك العنان وتقدم للقارىء الخلاصة في مقال أو فكرة أو كتاب، لذا فإن للكتابة ضوابط لا بد لك أن تلتزم بها، ولها آداب سامية يجب معرفتها والتأدب بها، ومن هذه الضوابط:

- إخلاص النية لله تعالى في كل ما تكتب واتباع سبيل المؤمنين.
- أن يكون القرآن والسنة هما الأصل في كتابتك والمنبع الأساسي لمادتك.
- المنهجية في الكتابة والحفاظ على ملكية الكلمة وإلحاقها بأصحابها.

- اتباع منهج الوسطية في الكتابة دون إفراط أو تفريط، وحاول أن تربط القارىء بربه مهما كان حديثك ومادتك.

- النظر إلى واقعنا المعاصر ومعرفة قضايانا الهامة والكتابة فيها بحياد وإنصاف وموضوعية.

- الصدق في كتابة أي خبر أو حدث وأخذ المعلومة من أصحابها أو من مصدر موثوق لا يدلس ولا يكذب.

- الحذر من الكتابة بطريقة افتعال الضجات الإعلامية التي يكون الغرض من ورائها التسويق للصحيفة أو الكتاب.

- التخصص في الكتابة في المجال الذي تتقنه ولا تخوض في كل وادٍ وشِعب مع الخائضين دون علم ومعرفة.

- لا تستخدم الكتابة كوسيلة لبث العداوة والبغضاء بين الناس، أو التشهير بهم أو التعرض لحرماتهم ولا تأخذ الناس بالظن والشبهة.

- الحيادية التامة في طرح الأفكار ومناقشتها ولا بأس بعد ذلك ببيان رأيك دون أن تفرضه على القارىء.

- لا تتعصب لرأي أو مذهب معين فالتعصب مذموم وكن قدوة طيبة واعمل بما تدعو إليه من خير.

- احرص في كتاباتك على وحدة الأمة والتئام الصف ولا تستخدم الكتابة كوسيلة لمهاجمة مخالفيك بالسبّ والشتم واللعن بل اصنع منها جدارا من الحوار البناء الهادف.

استخدم الكتابة كوسيلة للدفاع عن قضايا أمتك المعاصرة، والذب عن الإسلام، وكأداة لرفع الظلم ونصر المظلوم، وكوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل.

- خاطب الناس بما يفهمونه واعرف لَمن أنت تكتب حتى تنجح في إيصال رسالتك إليهم، فما يُكتب للكبار لا يصلح للأطفال، وهكذا فلكل مقام مقال كما يقولون.

- لا تستخدم نعمة الكتابة في إثارة الشهوات وتعرية الناس من الحياء، فتنشر الرذيلة وتقتل الفضيلة وتبوء بإثم ذلك أمام الله.

- هناك موضوعات تكون الكتابة فيها أوْلى من غيرها في بعض الأحوال فانتبه لذلك واتبع فقه الأولويات عند اختيار موضوعك الذي تكتبه.

كلمة لا بد منها..

وأخيرا.. إن الكتابة نعمة عظيمة وهي نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، وهو الجهاد بالقلم والكلمة، فأخلص لها نيتك، وتسلح بالعلم والمعرفة، وتفقه في دينك، وتعلم علوم عصرك وواكب تطوره وارتق بنفسك وطوّر من ذاتك، واترك بصمتك بعد ذلك واضحة على ما تكتب، ولا تغتر بهذه النعمة بل حافظ عليها بحسن استخدامها حتى لا ينتزعها الله منك ويهبها غيرك ممن يستحقها، وتذكر دائما أن الكلمة أمانة فانظر ماذا تكتب، واعلم أن «الدال على الخير كفاعله» [البزار وصححه السيوطي] وأن «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا؛ ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» [مسلم].

❊ ❊ ❊

١٧
[رسالة خاصة]
إلى كل مبتلى من أهل غزة..

هذه الرسالة أوجهها إلى أهل غزة الصابرين.. شيوخهم وشبابهم.. رجالهم ونسائهم.. بنيهم وبناتهم..

إلى الأطفال الذين يعيشون طفولة بائسة فكبروا قبل الأوان.. وإلى الرضّع الذين فقدوا أمهاتهم ففطموا رغما عنهم أو وُوروا التراب معهن دون ذنب أو جريرة..

إلى أرواح الشهداء من هؤلاء جميعا الذين كانوا ضحية القصف والبطش والإرهاب الصهيوني الغاشم الذي لم يفرق بين أحد منهم..

إلى أولئك المنكوبين وضحايا العداوان من الأرامل والأيتام والثكالى والجرحى والمصابين..

وإلى المحاصرين منهم الذين يعيشون وهم يفتقدون الحق الإنساني المطلوب من المأوى والمسكن والمطعم والمشرب والأمن والاستقرار..

أهدي رسالتي إلى هؤلاء جميعا..

أحداث لا تنسَى.. وذكريات لا تمحَى..

إن مَن تابع أخبار الحرب على أرض غزة الصامدة والتي مرّ عليها الآن أكثر من عام ويسترجع ذكراها في مخيلته يكاد يتوقف قلبه أو يموت كمدا وحسرة من هول ما حدث، وقد يشك أن هذا يحدث في دنيا البشر أو في عالم الإنسان، وكأني بطائرات العدو المحتل تنفث سمومها في فضاء الله وتلقي أحمالها على أرض الله، حمما ونيرانا وقذائف تذوب منها

الأجساد، تساندها القوات الأرضية من الدبابات المشحونة بالذخيرة وقوافل الجند المدججين بالسلاح، ويدعمها السكوت العالمي الشائن وما يشبه التأييد من الدول العظمى كما يسمونها، وسرعان ما تملأ الآفاق نارا ودخانا يصعب معه التنفس وتختفي منه الرؤية وتشوى به الوجوه! كل ذلك على شعب أعزل محاصَر ومُجوّع ومُغيّب عن العالم منذ زمن بالاحتلال البغيض الذي تاهت فيه القيم المشروعة وضاع معها الإحساس بالأمان، وأهملت معه الاتفاقات الدولية ولم تحترم فلم يعد للكلمات صدى أو أثر، وقد حاول المحتل منذ ستين عاما أن يسبي الأحرار برقّ من نوع آخر وعبودية بشكل جديد، وسَبْي من طراز مختلف يلائم العصر الحديث، فكان التضييق والحصار ومن بعده الحرب والدمار، وقبل ذلك كله القتل والمذابح والاضطهاد والسجن والاعتقال، كل ذلك يقع ويكون في عصر الحرية المزعومة وزمن الديمقراطية المتوهمة، ومع كل ما سبق لم يفلح المحتل في أن ينال من صبرهم وصمودهم وحرصهم على أرضهم لأنهم يوقنون ويؤمنون بقول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قيل يا رسول الله أين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**» [رواه الإمام أحمد].

أقدار الله تعالى كلها خير ورحمة لعباده المؤمنين..

وإن عزاءكم يا أهل غزة أن تعلموا أن المؤمن في هذه الحياة يتقلب بين منزلتين عظيمتين، منزلة الشكر ومنزلة الصبر، فهو في خير دائم اختصه الله تعالى به دون سائر الناس، وقد بيّن رسول الله ﷺ ذلك فقال: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» [مسلم]. وإن تطرق الضعف إلى قلوبكم لحظة لأنكم بشر فتذكروا قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر: ٦-١٤]. وأبشروا بالفرج القريب.. ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فالله القوي بقوته معكم، والملك العظيم بعظمته معكم، والحكم العدل لا يرضى بالظلم وسيرفعه بإذنه ومشيئته عنكم. فجددوا إيمانكم بالقدر خيره وشره. وقد بين النبي ﷺ أن ذلك داخل في مسمى الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [مسلم]. وقال: «**من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فأنا منه بريء**» [أبو يعلى] وربَّى أفراد المجتمع المسلم على الإيمان بالقدر، والرضا بقضاء الله إن نزل، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «**يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**» فقلت: بلى فقال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف اليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**» [أحمد].

من رواء كل محنة منحة..

وإن النفوس المؤمنة لها مع كل قدر من أقدار الله تعالى حال يرضيه عنها، وهي تنظر إلى أقداره التي هي في الحقيقة رحمة بها وخير، وإن كان البعض لا يشعر بذلك إلا بعد حين. لذا فإن عليكم أن تخرجوا من هذه المحنة وقد صقلتكم التجربة فعرفتم ما يجب عليكم تجاه أنفسكم وتجاه أولادكم ووطنكم، لا أن يخيم اليأس عليها أو ينال منها الضعف والخور، فكم من أناس وقعوا فقاموا ونهضوا وهم أكثر قوة وأشد بأسا، وكم من هزيمة حلت بقوم فكانت سببا في أن يعقبها النصر والفوز، لذا فإن عليكم أن تحيوا روح الأمل بينكم لتؤسسوا ما قوض من بنيان وتعيدوا بناء بلدكم من جديد، وتبنوا معه العقول والأبدان فتفتحوا المدارس مهما كانت المعوقات، وتهتموا بتربية النشء الصاعد تربية على حب الله ورسوله مهما كانت التحديات، وإنه لمن دواعي السرور والفخر أن تكون نسبة الأمية بينكم وبين أهليكم في أرض الإسراء رغم هذا الاحتلال الرابض على أرضها أقل منها في دول أخرى تنعم بالأمن والاستقرار، ذلك لأن المحن تصنع

الشعوب، والحاجة تصقل المواهب وتشحذ الفكرة، لذا فإن عليكم يا أهل غزة أن تكونوا يدا واحدة وتنبذوا الفرقة والاختلاف ليحل مكانها تآلف القلوب والاعتصام بحبل الله تعالى، وتنشروا أخلاق الإسلام بين صفوفكم وتجعلوا القرآن الكريم منهجكم ودستوركم، فبه تُنصروا وبه تغنموا، وفي كتاب ربنا سبحانه وتعالى نقرأ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

متى نصر الله؟..

سؤال قد يسأله البعض استعجالا للنصر، ويتبادر إلى الأذهان حين يشتد البأس ويزداد الضر ويفيض البلاء أن النصر مستحيل وبعيد المنال، وهنا تتدخل الشياطين من الإنس والجن تختلس من بعض النفوس ساعة ضعفها اختلاسة سريعة من اليقين بالوعد، وتبث مكانها بعض اليأس أو القنوط، وتلقي في روعها ذرات من الشك في مجيء النصر، لذا لا بد أن تشحن قلبك بالإيمان وتزيد من مخزون اليقين فيه، وتتعرف على رصيدك من ذلك المخزون من حين لآخر حتى لا تقع في تلك الفتنة، فتصيبك هزة في أرضية إيمان القلب، وتراجُعًا في عقارب ساعة اليقين، وتذبذبا في مؤشر دفع المحتل. وإن النفوس المؤمنة حقا الموقنة صدقا لا تستجيب لتلك الوساوس ولا ينبغي لها أن تنساق وراءها، وهي إنْ مالَ بها ميزان الصبر لحظة فتعجلت النصر فإنها سرعان ما تفيء وتعود إلى أمر الله، فتعلم أن لهذا النصر ثمنا باهظا لا بد منه، تدفعه من أمنها وسلامتها ومالها ودمها، وأهلها وعشيرتها، فما تلبث بذور القلق والخوف فيها أن تموت فلا تنبت، وسرعان ما تنجلي غشاوة القنوط واليأس فلا تعود.

وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى تلك الحقيقة التي قد تغيب عنا في زحمة الأحداث وسرعة التغيرات لنكون على أتم استعداد لتلقي الابتلاء بروح الصبر وصدق اليقين والاطمئنان إلى وعد الله تعالى لنا بالنصر والتمكين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ومن قبلنا وجّه رسول الله ﷺ أصحابه إليها، كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن

الأرت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه» ثم قال: «والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون».

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾..

نعم.. فالعسر يأتي من بعده اليسر، والفرج يأتي من بعد الكرب، وصرخة الحياة تدوّي بعد آلام المخاض، والنصر يولد ويأتي بعد التمحيص الذي لا بد منه.. قال الله تعالى: ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].. وقد حصل من هذا الابتلاء جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب، وكان عدوهم ذا شقين، عدوا من الخارج يقاتلهم بقوته وسلاحه، وعدوا من الداخل يتمثل في المنافقين الساعين بالأراجيف والتثبيط، كما قال الله تعالى: ﴿**إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**﴾ [الأحزاب: ١٠-١٢]. ومع ذلك نصرهم الله تعالى بعد الزلزلة، نصرهم بحوله وقوته لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].. فالصبر الصبر يا كل مبتلى.. والثبات الثبات يا كل مستضعف، فما أصابكم لن يضيع عند الله فهو معكم وأبشروا بالنصر العاجل القريب في ميزان الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾.. وسيمنحكم من أجله الثبات والقوة حتى النهاية مصداقا لقول النبي ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة**» [رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات].

كونوا على يقين بنصر الله..

نعم.. كونوا على يقين بالنصر، ذلك لأنكم أصحاب الحق وأهل الأرض، وصاحب الحق لا ييأس أبدا ولا يترك حقه نهبة للغاصبين ولا يشك لحظة في نصر الله تعالى له وإن طال به الأمد، ولا يضره المعوقين له والمخالفين من حوله لأنه هو المسلوب حقه، المغتصب بيته، المحتلة أرضه، المنتهك عرضه، المنهوب ماله، المستباح دمه، ونبينا ﷺ يدعوك يا صاحب الحق، يا من انتهكت حرمة بلده، ووضعت الحواجز بين طرقه، ويا من سُدّتْ المنافذ أمام عينه وحُرم من ذويه وأهله.. يدعوك يا من دُمّرت مساجده وبيته، واجتثت أشجاره وثمره، وقتلتْ زوجه وولده، ويا مَن ضاعت أمواله وتبدد حلمه بفعل فاعل لا يرعى لك حرمة ولا يرعوي عن جرمه، يدعوك للتمسك بحقك والاستمرار في طلبه مع الالتزام بأمره، وحينها يبشرك بنصره ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠ الحج].. ﴿إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [٧- محمد]..

فالقوي العزيز لن يكلك إلى نفسك، والقوي العزيز سيدافع عنك.. ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وإن أشاعوا عنك زورا وبهتانا ما ليس فيك، وإن وصموك بالإرهاب ووصفوك بالوحشية لأنك تريد استرجاع بيتك الذي سرق منك، فإن الإرهابي الأكبر في الحقيقة هو من احتل أرضك وسرق معها أمانيك وحلمك، ثم هو يقتلك فيها! وهو من يرضى بظلمك ويعين الظالم عليك دون أن يعترف بحقك، فلا تيأس وانظر وتأمل لترى أين الغزاة السابقون، طواهم الثرى واحتواهم التراب وضمهم النسيان إلا مِن ذِكْر السوء، فانظر واعتبر وأبشِر بالغلبة والظفر على لسان نبيك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ القائل: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**» [البخاري ومسلم].

فالفرج في طريقه إليك مهما طال الطريق، واليسر سينتصر بإذن الله على العسر وإن طال مكثه، والفجر الصادق قادم من بعد الليل الحالك، وشمس النصر ستسطع عما قريب لتذهب بالظلام. وصدق ربنا سبحانه وتعالى القوي الغالب على أمره حين يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

بيتك هو بيتك..

وهل مرور السنين يذهب بحقك في ملكية دارك وسُكنى بيتك؟! فانتبه ولا تغفل.. وتذكّر ولا تنسَ.. فإن حقك في امتلاك بيتك لا يضيعه مرور السنين، ولا انقضاء الأيام، فبيتك هو بيتك، إنه لك ولأولادك وذريتك من بعدك.. أرأيتَ لو دخل دارك لصّ أثناء غيابك عنها فاتخذها له مسكنا، أو أكرهك على ذلك وأنت فيها فدخلها عنوة، أو ادّعى وزعم أنها ملكه وحاول إثبات ملكيته لها بالتزوير أو تحت شدة البطش وقوة السلاح، وظل على ذلك أعواما وأنت تدفعه وتحاول صدّه وهو يدّعي فيما يقول صدقه، أكنت تصدقه؟ وماذا لو أراد أن يقتسمها بينكما رغما عنك حتى إذا ما قويت شوكته واستقر حاله حاول أن يضع يده عليها بالكلية طاردا إياك منها مشردا لك ولأهلك، مدّعيا لنفسه هذا الحق بطول المكث فيها والانتفاع بمرافقها وإلْف الناس وجوده بينهم، أتكون دارك تلك في يوم من الأيام حقه؟! إن من يقول ذلك أو يصدقه أو يوافق عليه لهو الأحمق بعينه لا يعرف الحق إذ يفرط فيه، ولا يفرّق بين العدو والصديق، قد جار في حكمه إذ جعل من السارق مالكا لما سرق، وللغاصب حقا فيما اغتصب. أما أنت يا صاحب الدار فلست بمصدق ذلك ما حييت، فهل مرور الأيام والسنين تنسيك يا من سُرِقَتْ بالأمس دارك وبيتك، إن كل لبنة من بنيانه وكل حجر في أركانه محفور في ذاكرتك لا تنساه، يذكّرك بحقك الضائع ومنزلك السليب، تماما كما هو في ذاكرة الأيام والأعوام التي تمر عليك وأنت تتجرع مرارة الحرمان وقسوة السجان وسياط الجلاد، لكنك مع كل هذا صامد ثابت لا يخيفك الخوف ولا يبعدك البعد ولا يهدم حلم العودة الهدم، فأنت تعيش على الأمل واليقين بالنصر والعودة، فلا زال مفتاح الدار في جيبك أيها البطل لم تفرط فيه ولم يضِعْ منك بعد فتضيع معه قضيتك وقضية شعبك كله.

دعوة إلى كل إنسان له قلب..

إنها دعوة لنا جميعا للنظر والتفكر.. ماذا لو تغير الحال وكنت أنا أو أنت أو أي إنسان آخر مكانهم، هل فكرت يوما في أن تجرب العيش لحظة من لحظات حياة هؤلاء وتضع نفسك موضعهم، فتتخيل إذ أنت في دارك آمن تجلس بين أهلك وأولادك قرير العين،

تسمع ضحكات الصغار البريئة، تلاعبهم ويلاعبونك، تجري وراءهم، تحملهم على ظهرك تارة وعلى عنقك أخرى، تذاكر لهم دروسهم، تجلس معهم على مائدة الطعام، تستمع إلى آمالهم وأحلامهم، تشاركهم مشاكلهم وأحزانهم، تتسامر ليلك مع أحضانهم، وتقص عليهم حكاياتك المحببة لديهم، وفي جلسة خاصة من تلك الجلسات الأسرية المحببة التي انتشر فيها الحب حول جميع الأفراد وعلت فيها البسمة تلك الوجوه النضرة، إذا بصوت الغدر يغتال كل الأصوات، وإذا بسارق الأحلام وقاتل الآمال يطعنك في أحلامك ويسلبك آمالك، ويحوّل أمنك إلى خوف، وحياة أحبابك إلى موت، وعمران بيتك إلى خراب، وجمع أسرتك إلى تشتت، قد سرق البسمة من على الشفاه، وإذا بك قد عريت من دارك ومالك وأهلك وأحبابك وجيرانك وخلانك في تلك الغارة الغدارة التي ما كانت سوى لحظات، فماذا بقي لك بعدها من رصيد الآمال، وماذا أنت فاعل تجاه سارقي أرضك وهادمي بيتك ومبدّدي حلمك؟ إنك لولا إيمانك بالله لطاش منك العقل ولذاب منك الفؤاد، هذا الإيمان الذي يؤهلك لتخطي المحنة لتنهض من جديد، وأنت مع ذلك أعزل من كل سلاح سوى سلاح الدعاء وطلب الثبات والصبر «ومن يتصبر يصبره الله».

❊ ❊ ❊

١٨
إلى مُشاحِن..

إلى كل من بات غضبانَ من أخيه، أو قضى شطرا من ليله يحمل في نفسه الضغينة له ويُكنّ بعض غل وحقد أو قليل حسد وبغضاء.

وإلى مَن جاءه أخوه معتذرا إليه يمد له يدا يطلب بها الصفح والعفو والغفران، فلم يبادله يدا بيد بل قبضها عنه وأضمر في نفسه له نصيبا من الخصام ومزيدا من الشحناء..

وإلى كل مَن قابله أخوه في ساعة مِن ساعات النهار مقبلا عليه بوجهه لكنه يبادله إدبارا بإقبال، ويلوي عنه عنقه، ويعرض عنه ولا يرد تحيته أو يلقي عليه السلام..

إنها رسالة مِن القلب أتمنى أن تصل إلى القلب.. أهديها إلى كل متشاحنين متخاصمين يلتقيان، «فيعرض هذا ويعرض هذا» ولا يبدأ أحد منهما أخاه بالسلام..

المؤمن مرآة أخيه..

المؤمن مرآة أخيه التي يرى فيها صورته، وإن حق الأخوة التي بيننا يوجب عليّ أن أكتب لك هذه الرسالة، وكُلي أمل أن تجد عندك موضعا وقبولا، وأنا موقنة بذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ [الأعلى: ٩-١٠].. وأنت بإذن الله مؤمن تخشى الله كما أحسبك. وإنني أوقن تماما أن من حق المسلم على أخيه أن يتبادل معه النصيحة حبا في الله ولوجه الله، وذلك خشية السؤال الصعب من الملك العظيم الذي لا تخفى عليه خافية، لذا فإنني أتمنى أن يكون قلبك الكبير رحبا فسيحا حتى تشقّ النصيحة فيه طريقها إليك، وتثمر في أرضه ثمار الإخاء وغراس المحبة. فكم أحزن عندما ينجح الشيطان في الإيقاع بين الإخوة بعضهم البعض بالرغم مما يربط بينهم من رباط العقيدة المتين، وما يجمعهم من وحدة الهدف والغاية، وتشابه البداية والنهاية، لكن الشيطان يقف لهم بالمرصاد إذ يحزنه ذلك

التآلف منهم، فيسعى بكل الطرق ناصبا شباكه لاصطياد القلوب بعد أن يوهن من قوة خيوط المحبة فيها ويحاول أن يفصم عروتها الوثقي ويمزقها، قد ارتضى بهذا النصيب له منا، واكتفى بحصوله عليه من سعادتنا ووحدتنا وتآلفنا وراحتنا، وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم**» [الترمذي وصححه الألباني]. فالشيطان غير آيس من إغراء المؤمنين وحملهم على الفتن بل له مطمع في ذلك، لذا فهو يسعى جاهدا في التحريش بينهم وإغراء بعضهم على بعض والتحريض بينهم بالشر والخصومات والشحناء والحروب والقتل والبغضاء.

للأخوّة في الله طعم ومذاق مختلف..

لقد تذوقتُ طعم الصداقة والصحبة، وطعِمْتُ حلاوة الإخاء وألفة الأُخُوّة، وما وجدتُ أطيب طعمًا من أخوّة المتحابين في الله ولا ألذّ مذاقا من الحب في الله، لذا آمل أن لا تتقطع أواصر تلك الأخوّة بين الأحباب مهما تكن الأسباب، وأن تتصل حبال المودة وتطول وتزداد، إذ هي لا تقدَّر بمال مهما كثر، ولا توزن بذهب وإن ثقل، ولا تساويها كنوز الدنيا رغم نفاستها، ولا تستطيع أن تطاولها في قدرها مهما علت وارتفعت، فالمال ظل زائل كما قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا**﴾ [الكهف: ٤٦]. وكل ما كان من زينة الحياة الدنيا فمصيره إلى الزوال مهما عمّر، وصفته الغرور إذ يصير هباء ولو بعد حين كالهشيم حين تذروه الرياح، هو متاع قليل يفنى ويبيد كأن لم يكن بالأمس شيئا، إنما الذي يبقى وينفع هو ما كان من زاد القبر وعُدّة الآخرة، ومن هذا الزاد وتلك العدة الأخوّة في الله التي تبقى طوال الحياة وتستمر آثارها بعد الممات، فحين لا يصحبك مالك حال موتك يصحبك الحب الذي نثرته ووزعته على مَن حولك وزرعته في القلوب، ترتقي به منابر النور يوم القيامة في مجلس يغبطك عليه النبيون والشهداء، وحيث لا يؤنسك أحد في قبرك فإن دعوات المحبين لك بالثبات والتخفيف والرفعة والمغفرة والرحمة تتوالى عليك تترَا بلا انقطاع ما دام لك ذكر حسن في مجالسهم وأوساطهم، وأثر طيب في دنياهم وحياتهم، ومحبة خالصة تغمر وتعمر أفئدتهم.. ثم لا ينتهي الحال بك عند هذا فحسب، بل تمتد الصحبة وتستمر

الأخوّة حتى تتذوق نعيمها ولذتها في جنات الخلود. قال تعالى: ﴿الأخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ويجتمع المحبون اجتماعا أبديا سرمديا لا ينغصه ألم الفراق ولا يؤرقه خشية الهجران أو خوف القطيعة.. وقد روى الحافظ بن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته في» [تفسير ابن كثير]. وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا» [الترغيب والترهيب] وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» [الترمذي وصححه السيوطي].

المؤمنون جميعا إخوة..

لذلك فلا عجب أن حضّ الله على تلك الأخوّة، وأمر بإصلاح وترميم أي شرخ فيها فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].. وللحفاظ على استمرار تلك العروة الوثقى فيما بيننا وجب الإصلاح بين القلوب، وكانت محاولة الصلح بين المتخاصمين مطلوبة، والنصيحة واجبة. «والصلح خير» كما قال الله تعالى.

فكل صلح بين أخوين متشاحنين أو بين فئتين متخاصمتين ينمي خيرا وينشر حبا لهو صلح طيب نحن جميعا مدعوون إليه، كلّ في موقعه ومكانه، بشرط ألا يكون فيه معصية للخالق سبحانه وتعالى أو شطط عن طريقه، وقد لفت النبي ﷺ أنظارنا لذلك فقال: «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا» [أحمد]. فالجميع إخوة كما قال رسولنا ﷺ: «المسلم أخو المسلم» [الترمذي] إنها الأخوّة التي توجب على كل منا أن يتعامل فيما بينه وبين إخوانه معاملة الإخوَة، ويعاشرهم بالمودة والرفق والملاطفة والشفقة والتعاون في الخير ونحو ذلك، مع صفاء القلوب وخلوص النصيحة والشعور بالآخر، وفي الصحيح «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» [البخاري]. و«إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»[أحمد]. وتكريما للمتآخين في الله فإنه سبحانه يستجيب دعاءهم لإخوانهم بالخير، كما روي عن النبي ﷺ: «**دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يُردّ**» [البزار وصححه السيوطي] وقال «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة. عند رأسه ملك موكل. كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل» [مسلم].

القواعد المثلى للمحافظة على روح الأخوة..

وقد وضع لنا النبي ﷺ القواعد المثلى للمحافظة على روح الأخوّة، ونهى عن كل ما من شأنه أن يوهنها فقال: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا**» [البخاري] وفي رواية: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» [مسلم]. وقال «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [متفق عليه] وقال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» [رواه مسلم].

احذر أن يغلق دونك باب المغفرة..

حذر النبي ﷺ من الشحناء وعاقبتها فقال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا» [البخاري] أي أخروهما حتى يفيئا ويرجعا إلى الصلح والمودة فيتصالحا ويزول عنهما الشحناء. وقال: «إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم» [رواه البيهقي] وقال «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» [ابن ماجه].

كرامتي لا تسمح!!

مقولة تعودنا الاتكاء عليها وتقديمها عذرا لهجران إخوتنا والغضب عليهم وتهويل إساءتهم وسوء الظن بهم، وبالتالي خصامهم وقطيعتهم وعدم قبول عذرهم أو اعتذارهم.. قد يكون ذلك بحق أو بغير حق، وفي كلا الحالين فإن هذه الكلمات لا تغير الحال إلى أحسن مما هو عليه، وقد تشمّ بين حروفها رائحة الكبر والغرور والعُجب والترفع وكل ذلك من المهلكات، كما أنها ترتد في وجه المخطيء والمحق على السواء محدثة آثارا سيئة وعاقبة غير محمودة من الخصام الذي يطول أو يقصر، وما يلازمه من جملة أخلاق هي تابعة له من حقد وغل وحسد وبغضاء وكراهية، وغيبة ونميمة وأذى، وتضييع للحقوق وإهمال للواجبات من كلا الطرفين للطرف الآخر، وشغل النفس وإضاعة الوقت في القيل والقال والحديث عن الإساءة والمسيء وبذل الجهد في إثبات خطئه وتلمس عثراته وسوء الظن به والتجسس عليه وكشف عوراته وكأنه في معركة حربية! أضف إلى ذلك الأذى البدني الملازم لهذا الحال من ارتفاع ضغط الدم وتأثر القلب وزيارة الأمراض المفاجئة المرتبطة بالهمّ والقلق الملازمة للتوتر والغضب. وقد كان بإمكان المخطيء أن يعتذر بكلمة [آسف] التي لن تكلفه شيئا، ولن تزده إلا من الله قربا، فالاعتراف بالخطأ فضيلة وشجاعة لا تنقص من قدره شيئا إن لم ترفع منه. فمتى يقول المسيء أنا آسف..أرجوك سامحني، ومتى يقولها دونما حرج، ومتى تخرج وتنساب حروفها بسلاسة دون تعتعة، ومتى يقبل صاحب الحق من أخيه عذره ويقيل عثرته ويلتمس له الأعذار.. غفر الله لك يا أخي ولا تعُد.. ومتى ينتهي كلاهما عن قوله إن كرامتي لا تسمح، فهل هذه الكرامة يشينها العفو والتسامح ولا يشينها العقوبة والتشاحن. وهل يحط من قدرها الاعتراف بالخطأ والاعتذار منه. وقد قال النبي ﷺ: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا» [مسلم].

هتك الأستار وفشو الأسرار!

وهناك آفة عجيبة وخطيرة تنشأ عند الخصام وتبرز عند الشحناء، وفي ظني أنها نوع من الجحود وحب الذات والرغبة في الانتقام، كما أنها نوع من أنواع الزهد فيما عند الله من

ثواب، حيث يتخلى فيها البعض عن أدنى حقوق الأخوة والعشرة، حيث تُهتك الأستار وتُفشى الأسرار الخاصة بالمتخاصمين حال خصامهم، ولا يتورع البعض عن كشف المستور بكل جرأة، بل ويصل به الحال أن يهدد بإفشائه وفضيحته على الملأ، فيقع في المحظور، ويزداد الأمر سوءا وقبحا إذا حدث هذا بين من جعل الله تعالى كلا منهما لباسا للآخر.. الزوج والزوجة، فينقب الزوج في مكنون عشرته عن كل سيئات وعيوب زوجته التي غطت على كل خير فيها حتى جحده، فينشرها ليبرىء نفسه أمام الناس، ونسي أنه يحتاج أيضا للبراءة أمام رب الناس، وكذا تقف الزوجة له بالمرصاد فتفشي ما سترته حال رخائها معه وكأن الإحسان والستر لا مكان لهما في قاموس الخلافات الزوجية أو عند انقطاع حبال العلاقة بينهما ولسان حالها يقول له «ما رأيت منك خيرا قط». فتكون الفضيحة التي تمزق أستار الستر السابغة، وتعانق الخصام والشحناء ولا تنفك عنه، وقد قال النبي ﷺ: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا فلم يفضحه ستره الله يوم القيامة» [أحمد وصححه السيوطي] فما ظننا إن كان الستر بين الأزواج وقد أفضى بعضهم إلى بعض!.

لماذا لا تعفو وتصفح؟!

لماذا لا تعفو وتصفح عمن أساء إليك، وقد عفا من هو أفضل منك، وهو سيد البشر ﷺ فقال لمن آذوه: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، ومن قبله عفا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليه السلام، عفا عمن ألقوه في غيابت الجب وأرادوا قتله واتهموه بالسرقة لكنه قابل إساءتهم بالإحسان إليهم وقال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»، ومن بعده عفا من هو خير مَن حملت الأرض بعد الأنبياء، الصدّيق رضي الله عنه، عفا عمن خاض مع الخائضين في عرض ابنته عائشة الطاهرة رضي الله عنها، بل واستمر في إحسانه إليه امتثالا لأمر الله: ﴿**وَلا يَأتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وليَعْفوا وَلْيَصْفحُوا ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغفِرَ اللهُ لكُم وَاللهُ غفورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]. فإن الجزاء من جنس العمل.

وقد امتدح الله عز وجل كل من عفا لوجه الله، ورفعه لدرجة الإحسان العالية فقال: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. فهم مع

كف شرهم عن الناس يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقي في أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل الأحوال ولهذا قال «والله يحب المحسنين». فهذا من مقامات الإحسان العالية، ذلك لأن الله تعالى «عفو يحب العفو» [الحاكم وصححه السيوطي]. وقد جاء عن ابن عمر عن أبي بكر رضي الله عنه قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أهل العفو؟ فيكافئهم الله تعالى بما كان من عفوهم عن الناس. ويؤكد ذلك رسول الله ﷺ فيقول: «**من سَره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعفُ عمن ظلمه ويعطِ من حرمه ويصل مَن قطعه**» [الحاكم].

تذكّر دائما..

أن الصلح خير وبركة.. وأن الله تعالى يدعوك للعفو ويعدك بحسن عاقبته: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤]. لذا فإنني أذكّرك بالله العظيم الذي تحبه وترجوه، وأدعوك أن تحاول وتصلح ما بينك وبين أخيك، وأتمنى عليك أن تتصافحا وتتصالحا، وتصفحا وتعفوا، وأن تأتلفا ولا تختلفا، وتتراضيا ولا تتنازعا. وإذا ما دعتك نفسك يوما إلى هجر أخيك أن تتذكر قول النبي ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» [الترمذي]. قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث، والثاني بمفهومه قالوا: وإنما عفا عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول من الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك فعفا عن الهجر الثلاث ليذهب ذلك العارض[١].

* * *

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.